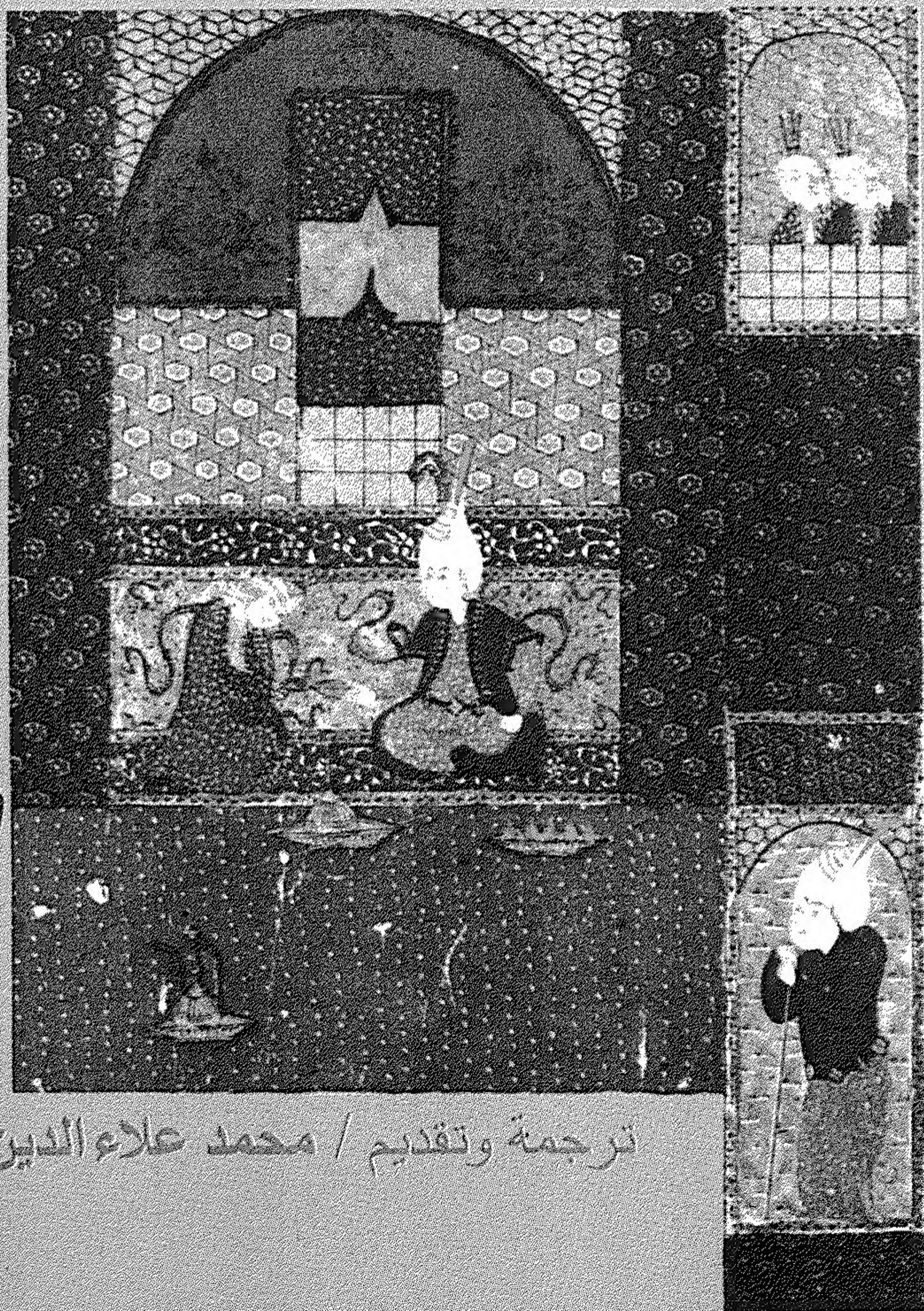


لمعة السراج

بختيار نامة

لحضرة التاج



ترجمة وتقديم / محمد علاء الدين منصور



المشروع القومي الترجمة

المشروع القومي للترجمة

لمعة السراج لحضرة التاج

« بختيار نامه »

ترجمة وتقديم

محمد علاء الدين منصور



٢٠٠٢

المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

– العدد : ٣٢٠

– لمعة السراج لحضرة التاج

– مؤلف مجهول

– محمد علاء الدين منصور

– الطبعة الأولى ٢٠٠٢

ترجمة عن الفارسية لكتاب لمعة السراج لحضرة التاج "بختيار نامه"

لمؤلف مجهول – طبعة بنياد فرهنگ

إيران ١٣٤٨ هـ تصحيح : أحمد روشن

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة المجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084 E. Mail : asfour @ onebox. com

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

مقدمة المترجم

كتاب لمعة السراج لحضرة التاج حديث هزله جد وقصصه عبر وسمره حكمة ، مادته الأولى وضعت باللغة البهلوية فى العصر الساسانى قبل الإسلام ، وسمى بعد الإسلام (بختيار نامه) ؛ أى كتاب بختيار ، وبختيار يعنى السعيد ذا الجد ، وتباينت الآراء حول من الذى ترجمه من البهلوية إلى الفارسية ؛ فذهب البعض إلى أنه شمس الدين محمد الدقائقى المروزى نقله فى حدود القرن السادس الهجرى .

وأول من ذهب هذا المذهب العوفى صاحب لباب الألباب (ص ٧٩ من طبعة الأستاذ سعيد نفيسى عام ١٩٥٤)، وعليه ذهب (وحيد دستگردى) فى مقدمته على (بختيار نامه) حين نشره ملحقاً بمجلة (أرمغان) عام ١٩٣٢ م و(تربيت تبريزى) فى مقدمة لطبعة أخرى من الكتاب (انظر مقدمة المصحح أحمد روشن على لمعة السراج ص شش طبعة بنياد فرهنگ ایران عام ١٣٤٨ هـ. ش/ ١٩٦٩ ، والتي ننقل عنها كتابنا هذا) ، وقد سبق الاثنان الدكتور ذبيح > صفا فى حسم انتساب الترجمة من البهلوية إلى الدقائقى المروزى فى مقدمته على كتاب راحة الأرواح فى سرور الأقراح (انظر مقدمة أحمد روشن على لمعة السراج ص هفت) .

لكن أحمد روشن دفع هذه النسبة ولا دليل له على ذلك سوى أنه اسم المؤلف الموضوع بعنوان بنسخة كتاب بختيار نامه الموجود بمكتبة

ليدن ، وهو غير واضح لا يشبه رسم (شمس الدين محمد بقايقى مرزوى) ولا يتسع مساحته لهذا الاسم الطويل (راجع مقدمته على لمعة السراج ص هفت). وقد صادف نسخة (بختيار نامه) التى لا تتجاوز صفحاته ثمانى وأربعين صفحة من القطع الصغير المرحوم الدكتور أمين عبد المجيد بدوى فنقله إلى العربية عام (١٩٧١) بنشر دار المعارف بمصر تحت عنوان (الأمير بختيار).

ثم جاء كاتب مجهول الاسم بادى الفضل - كما يذكر الدكتور بدوى فى كتابه سندباد الحكيم ص ١٠ طبعة مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٧٨ - فى القرن السادس الهجرى فضخم متن كتاب (بختيار نامه) بما أضاف إليه من مقدمة وخاتمة وزيادات اقتضتها الصياغة البديعة الجديدة والاقتباسات و الاستشهادات المختلفة بالأشعار والحكم والأمثال العربية والفارسية والأحاديث والآيات القرآنية فصار المتن بطبعة بنياد فرهنگ ايران عام ١٩٦٩م ستاً وسبعين ومائتى صفحة من القطع الكبير.

وغير هذا المؤلف المجهول اسم الكتاب فجعله (لمعة السراج لحضرة التاج) بعنوان بدا له أن اسمه القديم (بختيار نامه) لم يعد يوافق إخراجة الجديد الموشى على السجع والجناس وغيرهما من ألوان البديع فضلاً عن رفاعة الفكرة وبراعة الصورة ، وأهداه إلى تاج الدين محمود بن محمد بن عبد الكريم صاحب ديوان الاستيفاء ونائب صدر الوزراء فى بولة ما وراء النهر فى عهده - القرن السادس الهجرى- وهو المقصود بحضرة التاج فى عنوان الكتاب - وممدوح الشعارين المشهورين السوزنى السمرقندى ورشيد الدين الوطواط (راجع مقدمة أحمد روشن من ص هفت حتى ص نوازده) .

يرى (هرمان إته) أن كتاب بختيار نامه أصل (لمعة السراج) ويسمى أيضا (الوزراء العشرة) يشبه فى مبناه ومرماه كتاب (سندباد نامه) أو (الوزراء السبعة) وأنه كتب فى العصر الإسلامى تقليدا له (هرمان إته : تاريخ ادبيات فارس ص ٢٢٢ ترجمة الدكتور رضا زاده شفق وسندباد الحكيم للدكتور بدوى ص ٩) ونفس الرأى للمستشرق المعروف (نولدكه) الذى يعقد المشابهة بين الكتابين بحيث لا يمكن أن يستقل أحدهما عن الآخر ، والاثنان متأثران بما ورد فى كتاب ألف ليلة وليلة (مقدمة أحمد روشن على لمعة السراج ص هيجده ونوزده) وكتاب سندباد نامه ترجع نسبته - على وجه الترجيح - إلى الهنود ثم ترجم من الهندية إلى البهلوية قبل الإسلام ، وذكره المسعودى فى مروج الذهب باسم كتاب الوزراء السبعة والمعلم والغلام وامرأة الملك ، وبقيت ترجمته البهلوية حتى نقلت إلى الفارسية بيد أكثر من مترجم ، ولم تسلم من الزمان غير ترجمة بهاء الدين محمد بن الحسن الظهيرى الكاتب السمرقندى صاحب ديوان رسائل السلطان طغماج خاقان ملك ما وراء النهر فى نهاية القرن السادس الهجرى ، والتي نقلها الدكتور بدوى (راجع مقدمة سندباد نامه ص ٥-٩) . ويلاحظ الدكتور بدوى شبها بين بعض حكايات السندباد وبعض حكايات كليلة ودمنة مع اختلاف جزئى فى التفاصيل مثل : حكاية الحمامتين الذكر والأنثى فى الأثرين ، وحكاية الجندي والصبى والهز والأفعى فى سندباد نامه ، وحكاية الناسك وابن عرس فى كليلة ودمنة (القصة فى الأدب الفارسى للدكتور أمين بدوى طبعة دار المعارف ١٩٦٤ ص ٢٤-٥) . ولكى تكتمل حلقة التشابه بين كليلة ودمنة وقصص ألف ليلة وليلة وسندباد نامه وبختيار نامه يضيف إلى هذه الآثار أثرا أدبيا باسم (مرزبان نامه) الذى ألف بالطبرية أولا ثم نقله أكثر من مترجم إلى العربية والفارسية منها ترجمة سعد الدين الوراوينى ،

والتي حظيت بدراسة الزميل الفاضل الدكتور يوسف عبد الفتاح وترجمته ، وتولت إخراج هذه الترجمة الرائعة عناية المجلس الأعلى للثقافة تحت عنوان (قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان) عام ١٩٩٩ .

أنشأ المؤلف المجهول كتابه (لمعة السراج لحضرة التاج) ليظهر علو براعته وسمو براعته في باب الإنشاء والفصاحة ليكون خير نديم للأمير المقدم له ، وليضمن به حسن الجائزة وبوام الذائعة ، وأكثر من الترصيع والتسجيع والتجنيس كما هي عادة المنشئين والمترسلين أصحاب النثر المصنع أو النثر الفني (راجع كتابنا تاريخ سلاجقة الروم ، المقدمة ص ٢٠ فما بعدها للوقوف على سمات هذا الأسلوب . نشر دار الثقافة العربية عام ١٩٩٤) .

ومن يتصدى لنقل مثل هذه الآثار الأدبية الرفيعة إلى العربية لا مندوحة له من أن يبقى على جمالها وألا يغبن مؤلفها حقه ونصيبه في إخراج عمله في أبهى صورة وأعلى حلاوة .

ولا يفوت القارئ أن نقل الأثر الأدبي من لسان إلى لسان يفقده هذا الجمال بالضرورة إلا عند من يترجم البديع والصنعة اللفظية بنظيرهما دونما إخلال بالمعنى أو تقصير في التعبير ، وهذا ما انتهجناه قدر الوسع بل زدنا حلاوة النص طلاوة وطلاوته طراوة رجاء أن يقع من القارئ موقع القبول والاستحسان ، وعلى الله التكلان .

المترجم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ...

ابتداء الأقوال وافتتاح الأعمال يتوجب بالحمد الإلهي وشكر فضله غير المتناهي حتى تتصل أنوار الكلمات ، وتستقبل آثار السعادة ، والحمد والثناء لله الذي زين بستان قالب الإنسان بورد العقل ، وجمل روضه نشوئه وإيجاده بأنواع الفضل ، هو الصانع الذي نُورَتْ مشاعل السيارات في رياض السماوات بقدرته ، هو المبدع الذي تقررت منازل الثابتات بالدقائق والدرجات بإرادته ، مصنع العناصر في بلاط الأعراض والجوهر محل إنشائه ، وقوة حركة الزمان في فطرة السكنات مكان إعطائه . طرة سواد الليل على عارض النهار نسيج تقديره ، والخز الأدكن للسحاب على مظلة الربيع منسوج تصويره :

بدون إرادته لا يمكن أن يشدو بلبل بسورة من وحدانيته
ونعمة الطائرات في العالم ليست خلا ذكر تقديسه وتحميده

وبعد الثناء على الخالق عز اسمه ، فالصلوات على سيد الأحرار
سبب سعادة الزمان . ألا كانت الصلوات الكثار والتحيات بغير إحصار ،
المقتبسة من صفاء العقيدة ، والملتزمة من وفاء الشريعة تحفة للروح ،
المنور وتقدمة للقلب المعطر لسيد كل الكائنات ، ومقدم كافة المخلوقات ،
ونثارا على الصحابة المكرمين ، على الخصوص ،الذين كانوا أزهار
أشجار السيادة ، ورياحين بساتين السعادة ، ما نجم نجم ورعد رعد .

فصل

ترصيع هذه القلائد وتوقيع هذه الفرائد وقع فى وقت كانت الشمس فى أوج برج الحمل ، وكانت لطائف الاعتدال فى ترتيب العمل ، كانت الرياح فى اشتجار بشجر الصفصاف ، وكان الماء فى اختلاط بالتراب الجاف ، وكان الشعر المجعد للبنفسج يغص بالأضافير ، وكان جرم السحاب يشحن بماء الأزاهير وفرش الزمرد فى صحن كل مكان للأطيّار ، ونقش الزبرجد على عارض كل محل للقفار :

لطاووس الزمان جناحن ورش يتجدد وللعالم كوجه الحبيب جمال يوحّد

وكان سبب تحرير هذه المقالات وتقرير هذه الكلمات أنى لما وصلت إلى خطة سمرقند عمرها الله وكان بأذنى لغراب الغربية نعيب وبحضنى خوف الفراق المهلك للحبيب ، فلما أتيت من مطالعة الأطلال إلى مشاهدة الرجال ، رأيت اجتماع الأفضال ومقدمة مقامه منبع النوال .. فقلت لنفسى : رأيت اجتماع الفضلاء وتجمع العلماء فى بلاط صاحب قران عتبته كعبة الإفضال :

البلبل بغير الورد لا يتبسّم والبيغاء بدون السكر لا يترنم
واجتماع هذه الطيور السعداء اللقاء على خضرة ، وتجمع هذه
البلابل الجميلى الغناء على نضرة :

خير الطيور على القصور وشرها يأوى الخراب ويسكن الناوسا
البازى على ساعد الملك طيار والبوم على أبراج الخراب والقفار

فناجانى قلبى : لابد من الخطو بموافقة الخلان فى هذا البستان
والى متى السير فى أشواك باية المحنة ؟ لابد من التروح فى النهاية
فى منقش حجرة العناية ، وختام طى مفازة ألوان البلية ؟ ولا مناص
أخيرا من تفيؤ ظل شجرة الرعاية .

وعلى وفق هذه الإرادة والإشارة هتفت (لبيك) مستعدا للخدمة
وأحرمت مستمدا للسعادة ، ووجهت وجهى شطر روضة معالى صدر
الأحرار وسيد الأعصار قبلة المكان وقدوة الزمان تاج الدولة والدين
شمس الإسلام والمسلمين اختيار الملوك والسلاطين افتخار الدولة ، نظام
الملة ، فخر آل خراسان ، أكرم ما وراء النهر ، الكريم ابن الكريم
محمود بن محمد بن عبد الكريم أدام الله علوه وزاد كل يوم سموه .
وقلبى الذى كان مكسور النوائب استمد قوته بنسيم تلك الأزهار ،
وشخصى الذى كان منهوك المصائب لقى صحته فى ظل تلك الأشجار :

ومازلت حتى قادنى الشوق نحوه يسايرنى فى كل ركب له ذكر
واستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغّر الخبر الخبر

فقلت : بحمد الله بعد قطع الفيافى ، وردت الزلال الصافى ، وبعد
محنة صحراء السبيل ، نقت شربة السلسبيل ، ووضعت نقد الإقبال على
كفى ، ووصلت فى ظل جناح عنقاء همته إلى السعادة ، ورأيت الكمالات
فى تجلى طاووس روضة رفعته :

له يد برعت جودا بنائلها ومنطق درّه في الطرس يتشتر
فحاتم كامن في بطن راحتها وفي أناملها سحبان مستتر

ألا كانت آلاف الأرواح فداء لصاحب إقبال ، لأنه إذا غنت حدائق
بولته بأثمار البهجة فقد استغنت في الحق الخلق المظلومة من الزمان ،
يروم المال لأجل الإيثار ، والمنال لأجل الأحرار ؛ فإن نبئت روضة حاتم الطائي
بصدمة السحاب الشتائي فإن نسيم ماء ورد صيته يزيد كل لحظة قوة ،
وإن سقطت شجرة معن بن زائدة بسطوات الأجل فإن فوائد حسن ذكره
تزداد كل يوم ثروة .

مضت مدد وشخص معن في تراب الرميم والرفات ، لكن تلك الكلمة
التي جرت في بيان جوده على ألسنة الوجود هي كنسيم الصبا حول
الآفاق سائرة ، ومثل كاس الشراب على أيدي العشاق دائرة :

إذا بت مبطانا وجارى جائع فلاقى ويريدى باتر الحد قاطعا
وإن أثرت كفاى منعا ففارقت رواجبها والراحتان الأصبع

ولأن لفضلاء العصر وعلماء الدهر في كل صباح ورواح في تلك
الحضرة اجتماعا لاقتراح المعالى وافتتاح المعانى ، وهم في العلوم كلية
متبحرون ، وبفضائل الذات والصفات مستظهرون ، ولهم من تلك الدولة
رفد واصطناع ، يفور اليوم زلال النوال من منبع إفضاله ، وتثير نار
القرى من جانب مخيم سخائه ، فعلى مثال كرام العهد صير هذه الكلمة
الشريفة المعول :

الليل يا راقد ليل قر والريح يا واقد ريح صر
عسى يرى نارك من يمر إن جلبت ضيفا فانت حر

حتى ليلة من هاتيك الليالي التي هي في الحق نهار السعادة ومعهد الكرامة ، كان للقلوب فيها في رياض المسرة تنزه ، وللأرواح من لطائف الأدب تفكه ، وكانت مصنفات أهل التواريخ تطالع ومؤلفات الأخبار والأشعار تشاهد والليل الطويل لا يتأتى طيه بغير لذة عتاب أو مطالعة كتاب :

(وخير جليس في الزمان كتاب)

فحانت ليلة كانوا يقرأون فيها (بختيار نامه) فجرى لفظ ذلك العظيم الفخيم الذي هو مظهر النعيم والنعم ومنتهى السخاء والكرم بقوله : إن قصص هذا الكتاب مشتملة على المواعظ والحكمة والعجائب والعبرة . لكن بما أن عبارته ليس لها علو ، فلم يك لأهل العهد في مطالعته غلو ، ولو أن لهذه العروس سوارا وخلخالاً ، ولهذا الطير زينة مع ريشه وجناحيه وجمالاً ، لتداولوا مواعظه وحكمه ، ولتناولوا عباراته واستعاراته ؛ فخطوت بحكم هذه الإشارة بقدّم التقرير في الميدان ، وأخذت بقلم التحرير في البنان ، فقلّمت سرّ هذه الروضة ، وزينت أطراف هذه الجنة من غاية ، صفاء عقيدتي فيه وخلوص المحبة وعشق الخدمة إليه ، من أجل تخليد ذكر عوارفه ، بل لأجل تأييد أنواع معارفه ، وأرسلت من بستان سعادته فاكهة إلى خلان بولته :

على العبد حق فهو لأبد فاعله وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله

ولأن اسم العلم من نتائج الفكر والقلم ، ولا يحمل مولوداً بلا اسم بين الناس ولا شراب بدون جام وكاس ، ومع أن اسم هذا الكتاب في الأصل كان (بختيار نامه) لكن الخشب إذا جوف يسمى حقة ، والذهب إذا نور يسمى حلقة ، والمادة حين تكتسب صورة جديدة تقبل اسماً جديداً؛ لذا أُسِّميت هذا المجموع (لمعة السراج لحضرة التاج) ويشتمل

على عشرة فصول وعشرة أبواب . وفى كل فصل أصل من الحكمة ، وفى كل باب لباب من الموعظة ، والغرض الكلى هو أن يكون للزمان من أنوار عهد تاج الدين تذكّار ، وللدنيا من لطائف مكارمه إظهار ، حفظ الله تعالى شمس دولته من مشقة الكسوف ، وقصر عن ذيل حضرته يد الحوادث بمنه وجوده .

والآن نأتى إلى فهرست الأسرار والأبواب ، ونشتغل بترتيب الأقداح والأكواب فلا يحلو الحديث اللطيف بدون الأبواب والفصول ، ولا تجميل طرة المعشوق بغير التصفير المقبول :

الباب الأول

فى كيفية ولادة بختيار وتربيته بين عيارى الجبال والقفار والآفة التى تولدت من شرابه وثماناته والحوادث التى صبتها نورة الأيام على هامته .

الباب الثانى

فى قصة التاجر الذى أدير حظه وانتكس أمره ، وفى ضمن هذه القصة عبر للعقلاء وحكم للفطناء .

الباب الثالث

ويشمل قصة بائع الجواهر وأنواع مقاساته وألوان بلياته فى البداية ، وحسن حاله وحصول آماله فى النهاية ، وبهذه القصة عجائب الصنعة الإلهية ونوار الأحكام غير المتناهية .

الباب الرابع

قصة أبي صابر وعاقبة أمره في نظم الأحوال وترتيب الأعمال وما حدث في تملكه الممالك وخلصه من المضايق والمهاك ، وفي هذه القصة إشارة إلى وجوب جعل الصبر والسكون أساساً للإنسان وجعل الحلم والعقل زينة للمزدان .

الباب الخامس

قصة أبي تمام الوزير والبلية التي أصابتها بحسد جماعة الصناد والخزى الذي رآه أصحاب العناد والحساد والعقوبات التي حلت بهم بسبب حسدهم ، وبهذه القصة إشارة إلى أن الحقد والحسد من أسوأ الخصال وسبب الزوال والنكال .

الباب السادس

قصة ابن ملك حلب وما أصابه من ألوان التعب وأنواعه وما ناله وعاناه من مضرة من الاستعجال في اختلاف الأحوال ، وبهذه القصة إشارة إلى أن التعجل مذموم والاستعجال في كل الأحوال ملوم .

الباب السابع

في قصة (بهکرد) وما رآه من حوادث من تغير الزمان وما قابله من محن من اختلاف الحداث ، وبهذه القصة إشارة إلى كل من يعمل إحساناً وإساءة يرى جزاءه في هذا العالم العاجل ، وينال مكافئته في الآجل .

الباب الثامن

ويشمل قصص مكر النساء وأنواع غدرهن ، وبهذه القصة إشارة إلى حفظ الحرم والحرمة وإقامة مراسم الفتوة .

الباب التاسع

في قصة الملك (دابين) وما ارتكبه من ظلم لقضاء شهوته والضرريات التي لحقته جزاء خيانتة ، وبهذه القصة إشارة إلى أن متابعة الشهوات النفسانية سبب الإلغار في الدارين الحالية والآتية ، وأن عاقبة الظلم أمر وخيم ، وخاتمة الجور عذاب أليم .

الباب العاشر

في قصة ملك الحجاز وعجز الإنسان أمام القضاء والقدر وظهور أحوال بختيار بتأثير لطف > وتصحيح نسبته إلى شجرة السلطنة والملكية وجلوسه على أريكة السعادة الملوكية .

الباب الأول

فى كىففة ولادة بختيار وتربفته بفن عىارى
الجبال والآفة التى تولدت من شرابه وثمانته ،
والحوادث التى صبفتها دورة الأيام على هامته .

بداية القصة

روى أصحاب التوارىخ أنه كان فى القرون الماضية والأيام
السالفة فى بلاد العجم ملك من ملوك العالم صاحب تاج وتخت
اسمه آزاد بخت . ملك مظفر معزوز فى بلاد نيمروز . بساط
العدل والإنصاف بسطه ، ومن حدود سیستان حتى ساحل
البحرین وعمان ضبطه ، وكان له عشرة وزراء كاملون عادلون ،
كل منهم فى المعانى كان آیه ، وفى المعالى صاحب رایة أما
هو فعلوم الأوائل والأواخر قد علقها ومعلومات الظواهر والبواطن
قد حققها فانهدم أساس الفتنة وانعدم خصوم السلطنة :

ملك یمائل الربیع فى خضرته ونضرته

مزدان كطرة الريحان فى فصل الاعتدال

ونقشت يد وفاء العالم وإحسان الزمان أرقام عدالة هذا الملك ،
وكان لهذا الملك قائد ، رجل ضرب وطعان ومبارز للأيام والزمان ،
في الشجاعة بلا مثيل وفي الشهامة بلا بديل ، في صف الهيجاء
ليث صائل ، وفي أنواع السخاء غيث هائل ، كان القمر يندى
جبينه من بريق نصل حسامه ، وكان التراب يغدو ياقوتا من حريق
نعل حصانه ، كان ينهك السّمَاك الرامح برمحه ، ويعقد عنق
الاسد بوهقه ، كان يبكي عين العدو في ميدان القتال ، وكان
يضحك شفة الملك في مجلس الاحتفال . كانت أوامره ونواهيهِ
في الملك مقبولة ، وإشاراته ومقالاته في الولاية مسموعة ، لكن
مع أنه كان رجلاً فائقاً ومبارزاً مفيقاً وعلى دقائق سياسة الملك
مدققا واقفا على عتبة نظم الولاية ليل نهار معتكفا ، كان متصفا
بعيب واحد ، كما هي عادة أهل الشجاعة ، فإذا فاض كشحه
بالنقمة على إنسان ، واستولى عليه الغضب منه والشنآن ،
لم تكن نار سخطه تسكن بماء العذر والاعتذار ، لم يكن يخبر أن
غبار السخط يذهل عين الإنسانية ، ومتابعة الحق تكدر صفاء
الآدمية ، وقال النبي عليه السلام : الغضب نار من الشيطان ،
والشيطان من النار ، فطوبى لمن أطفأ نار الغضب هربا من نار
الشيطان :

لا تحتد غضبا فنار الغضب تحرق بيدر حسن ذكراك
وصافح بيدك يد العقل حتى ينير لك شمع الإنصاف

وكان لهذا القائد ابنة ذات جمال حتى أن الشمس كانت
تنفس عليها جمال وجهها الضافي ، وكانت طرتها خلاصة المسك
الصافي ، كانت الزهرة تتحرق شوقا إلى عشقها ، وكان الفلك
يكر ويفر على جواد حبها :

سَلَّمَ النقاش وجهها من النقائص

وأبدى في نقش وجهها صنعته

ويلغ جمال قدها مبلغه من الكمال

حتى إنه أمر كل مشاهد بتمنى رؤيته

فللمسك رياها وللراح ريقها

ولللظبي عيناها وللغصن لونها

وكان أبوها بحسنها معتزا ، وبجمالها مهتزا ، ولعله لم يخبر
هذا الخبر وهو أن النبي عليه السلام قال : « دفن البنات من
المكرمات » :

لا تعقد قلبك بعشق البنات

إن كنت عاقلا ، ولا تسلمه للشيطان

فإن كانت بنات السماء يجب لهن

النعش ؛ فالنعش أخرى بينات الأرض

وفارق والدها إلى مطالعة أطراف الولاية ليستخبر أحوال
الرعايا ، ويستفسر عن تصرفات الولاة ، قال صلى الله عليه
وسلم : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وليرى كيف يمضى الزمان الضعفاء المظلومون والفقراء
المحرومون ، ويتفحص كيف يقضى الأيام الكادحون من الرعية ،
والمغبونون من المملكة ، وكان يناجى نفسه دائما بقوله : تنبه يا من
أمرك كأمر السدوم وفكر وقت السحر فى سهم دعاء المظلوم .

وجاء فى الخبر : الظلم ظلمات يوم القيامة ، ولما طالت مدة
غيبه الأب عن ابنته ، أرسل رسولا ثقة ليحمل إليه ابنته من دار
الملك حتى يأنس بمشاهدتها أياما عدة .

واتفق إن الملك كان يصطاد فى سواد المدينة فى اليوم الذى
خرج فيه هودج ابنه القائد من مدينة الملك . كان قد طير جوارح
الطيور ، وأطلق الشاهين والباشق فى أطراف الغابة ، وكانت
الكلاب المعلمة فى عدو عجول ، والفهود تزار وتصول ، وفجأة
وقعت عينا الملك على جانب الطريق ، وسط هذا المعترك ، فرأى
هودجا محمولا مزدانا بالأقمشة المللمعة والأربطة المرصعة حتى إن
بهاءه ورواءه باهى ببهائه سماءه ، وأطرافه وأكنافه فاخرت خضرة
الرياض ونضرتها ، كان الخدم الأحباش يعدون أمام الهودج على
أقدامهم ، والورد والشقائق تتلو آية (وإن يكاد الذين كفروا
ليزلقونك بأبصارهم) :

حسنك حين يوقد شمع حبيب

يحرق في مجمرة الفلك عوده

فلما رأى الملك هذا الهودج سَيرَ غلاما ليقف على مالك هذا الهودج الملوکی فی عهده ، لأنه لا يليق بغير مواكب الملوك مهد مثله أو هودج ، ولا يناسب غير حرم السلاطين وبلاط المالكين مظلمته ورايته .

وللملوك رسوم لا تباشرها إلا الملوك وفي الدنيا لهم خدم

فلما رأى الخدم غلام الملك استبقوا بالخييل وقالوا : هذا هودج ابنة القائد ونحن نحملها إليه بحكم إشارته ، ومن كان الهجر بليته صار الوصل راحته ، فلما أنهى الغلام إجابة الخدام إلى مسمع الملك عجل بجواد يعدو أمام الهودج لكي يزجي سلامه إلى القائد ويرتب رسالته إليه ، فيلين بالفاظ الملوك جانبه ، ويسترضى بالكلمات اللطيفة غاربه ، فلما بلغ جواد الملك جانب الطريق ، ترجل الخدم من جيادهم وقبلوا الأرض بين يديه ، ووقفوا عاقدين أيديهم على صدورهم خضوعا وخشوعا ، فأزجى الملك رسالته بالطف اللطف ، وأرسل سلامه بأحلى العبارات .

وهبت ريح على حين بغتة فكشف جانبا من مظلة الهودج فوق نظر الملك على جمال الفتاة ، رأى منها وجهها هو فهرست الجمال ، وطلعة هي نهاية الكمال ، خالط العاج الصاج ، وانتثر الورد على صحيفة الفضة :

يا مقبلا كالقمر أنت جمال البشر
ما الحسن إلا بصر وأنت نور البصر
ماء الجمال بجملته يجرى فى جدولك
وشمس البهاء بكليته تشرق فى طلعتك

فلما وقع نظر حاكم الحكام على جمال بدر التمام ، غدا قلبه
صيدا لهذه البنية وصار الصائد صيدا والحر أسيرا ، والعشق طير
يدخل من هواء النظر فيبنى عشه فى القلب ، فإذا دخل عشه
خرج كل الصبر ، مثل : رُبَّ صباة غُرست من لحظة ، ورب
حزن جنيت من لفظة .

وابتلى فؤاد الملك بالعشق ، كان حياؤه الزاجر يقول :
مر ولا تنظر فقد أفتى الرسول فى الخبر : لا تتبع النظرة النظرة ،
فإن الأولى لك والثانية عليك ، وكان عشقه الغالب يقول : عيل
الصبر وضاق الصدر ، وعجز القلب عن التحمل ، وصار إذ ذاك
الفؤاد سلب هجوم الحسن ، ووقعت الروح نهب حملة الحزن :
نجم لى من العشق أمر وأى أمر

واتغرس من الزمان بقلبي شوك وأى شوك
ويقدر ما جاهد الملك فى طي بساط ذلك العشق من صحن
قلبه ، وكلما أعرض عن مباراة حريف المراد فى نرد الهوس ،
كان العشق غالبا والشوق جاذبا ، أخرج عنان التصرف عن يد
جهده والتكلف :

العقل رجل يعلم السيادة والعشق ألم يحرق الملوكة
إذا توافق العشق مع الروح والقلب اجتثت دار الصبر من أساسها

فلما استؤسر قلب الملك أخذ عنان جواد الهودج من يد
الخادم ، وقال له من غاية الافتقار إلى وصل سالب القرار :

ما تدبير الوصل ولم يستقر قلبي بصدري

ولا أدنى عجب من أن العشق لم يبق فكرة برأسي

مثل : العشق داء الكرام ، العشق طير لا يطير إلا في فضاء
قلوب الكرام ، ومضيف لا يعز غير ضيافة الكريم ، وجرت
فتوى مفتى الملكوت ، وهو منهى أسرار الجبروت ، من سرادقات
كمالات المروة في إظهار أنوار الفتوة بهذا الخبر : من عشق وعف
وكنم ومات مات شهيدا . حياة العاشق رواء السعادة ومات
العاشق بهاء الشهادة :

العشق سكر خماره التلف يحسن فيه الذلول والذنف

قيل لحكيم من حكماء اليونان : عشق ابنك فقال : الآن تم
في الإنسانية ، وما لم يكن الطبع سليما والخلق مستقيما ، كان
العشق متعذرا ، وما كان الحب متصورا ، ودليل الكمال الإنساني ،
ونهاية الجلال الروحاني ، هو العشق ، لأن العشق ينزل في قلوب

الرجال لا فى قلوب الأطفال ، ويخالط أرواح الكرام ، لا نفوس اللئام ، وذلك لأن طالب العشق نفسه معتدلة وذاته كاملة ، وعلى الحقيقة ما لم تكمل النفس الإنسانية لم تتحصل اللذة العشقية ، ومن لم يذق لم يدرك :

هذا العشق ظريف يروم ظريفاً ويود جميلاً وفريداً ولطيفاً

قيل لحكيم : ممّ اشتق العشق ؟ قال : العشق مشتق من العشقة ، والعشقة نبات يلتف بالشجرة ولا يدعها حتى يجفّفها : العشق مأخوذ من العشق الذى إذا التفت فى القضبان جفّ رطبها

سئل أحدهم : ما العشق ؟ فقال : أوله وسواس وآخره إفلاس ، وكل من تنفس فى العشق نفساً دق فى الهوس جرساً . أما حد العشق بالقول فهو أمر الفارغين ، وحق العشق بالفعل شغل البالغين . والطير الذى يطير بريش التمنى وجناحي التغنى فى فضاء الهواء يطلب مرة طرة حسان الرياحين ، ومرة غزل حوريات البساتين ، ومن ذا الذى يخبر بالآلام فى قلب ذاك البلب الذى يشدو بصوت كسير وروح حسير لفراق وجه الزهور ، أنه بالليل والنهار فى القفص وبالرواح والصباح فى جرس :

يا من لا تخبر بالمحترق والاحتراق إن العشق بالمعاناة لا بالأوراق

وحديث عهد اللوى وما جرى بأيام الحمى لا بد من ذكره
لعشاق العرب لا صبيان المكتب ، فإذا وصل الكلام إلى هذا المقام
لا يجد العاشق مع الرقباء عظيم صالح ، مع أنه مُعَنَّى متألم
بالهم الفادح ، ، وغنقاء بقاء العشق من ذروة عش الصدق ،
تصبح بوجوب أن يكون للعشاق قدم الكرم ، لا رقم القلم ، لا بد
من مجنون بنى عامر حتى يمكنه أن يقامر فى ملهى العشق ،
ولا بد من كُثِير البدوى العربى حتى يعلم أن يشرب من حانة
الشوق :

الروح العجيب هي التي تدرى العشق لأنها تعلم تفسير شهد الشفاء

القصة : أمسك الملك زمام ناقة المحمل بيد العشق لفرط
الصدق و كلف القلب ، لما وقعت عينه على الهودج ذى الجلال
ثار بقلبه نار الوصال ، وهاج بروحه تمنى الجمال ، فرفع النقاب
من على المهد ، بيد حسن العهد ؛ فرأى معشوقا فى المحمل أمره
كل تمنع وجبر ، وعاین محبوبا فى ذاك الهودج عمله كل فتنة
وأسر :

جاء النسيم برياًها فقلت لها الآن جئت بما أهواه أزمانا

رأى مُحَيًّا كله زينات وشاهد طرة كلها حليات ونخداً
كأنه برج الزهرة والمشتري ، وقدأ كأنه ييادر الشقائق والنسيج
الحريرى .

ولما أدرك الشاه أن قلبه ثمل بالعشق ، وروحه تلفت بالشوق
قال للخادم : ألا أيها الخادم المشفق والمحِب الحاذق :

إكرام أهل الهوى من الكرم وأمة العشاق أطرف الأمم

عشق جمال هذه البنية صاد قلبي وفؤادي ، وأسر روحي
وعمادي والصلاح أن تسير إلى القائد وتقول له إن الملك يخطب
ابتك ففي الملك الخطبة والسكة ناموس ، ومنه تلك الخطبة هي
إيثار فرق هذى العروس ، والسكة نثار رأس هذى الطاووس ،
وأنت على علم بأننى حرى بهذا الإصهار وقمين بتلك الأفراح
الكبار (مثل) : وكل إنسان أعرف بشمس أرضه .

فلما سمع الخادم هذه الكلمات قبل الأرض ، وقال ما يراه
الملك من رأى هو عين الصلاح وأساس الفلاح ؛ فلو رأى والد هذه
الفتاة هذا الأمر فى المنام ما وسعه الحبور والسرور ، ولكن لكل
أمر طريقا ، ولكل دعوة تحقيقا ؛ فللسرور مواسم ، وللسؤور مراسم ،
فإن حمل الملك هذه الابنة إلى المصر لظن النظارة أنه أتى بها
بالقهر والجبر ، ولصار للأحباء مجال القيل والقال ، وللأعداء
إمكان الخصام والجدال ، فالصلاح أن تأمر بأن أصل بالابنة إلى أيها
وأنهى إلى سمعه هذا المعنى ، فيمتن القائد بهذا التشريف من
الملك ، ويعد هذه الدولة عنوان سعادته و «الدولة اتفاقات حسنة»

مثل يطريه لنفسه ، فيعد ما يليق بطاقته جهاز ابته ، ويبدل ما فى حد يساره ما لابد لها ، ثم يرسل بها حضرة وخدمة السلطنة :

لا يليق التعجل من العاشق وليس من أمره غير الصبر والسكوت

(العجلة من الشيطان والتأنى من الرحمن) ، فلم يوافق كلام الخادم هوى السلطان ، والصبر أمر من الصبر ، فصرخ فى الخادم وقال أتجترئ على وعظى وتجري لسانك بموعظتى واراد معاقبته لكنه فكر فى أنه لا يجب إغضاب القلب الرقيق للمعشوق بهذه الحدة ، ولا ينبغى إتعاب الطبع اللطيف للمشوق بهذه الشدة : عفو جرائم الخدم من كمال الكرم ، وقال تعالى : (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) .

وترك الملك الخادم ، وأخذ بعنان الهودج ، واتخذ طريقه إلى المدينة ودخلها وقت أن كانت أطنبة شعاع الشمس تفك من مسامير الآفاق ، والستارة السوداء تلقى على مفرق المغرب والمشرق ، وقد لمعت الكواكب الثواقب من معارج الأفلاك ، وطلعت أجرام السيارات من مدارج السماوات ، فاستدعى إلى حضرته جماعة من العدول والثقة ، وطائفة من الحكام والقضاة ، فأمرهم فاسترضوا الفتاة على النكاح ، وأزالوا شبهة السفاح ، وعقدوا عقدا على وفق فتوى الشرع ، ووثقوا عهدا على ذوق حسن العهد ، وأن حسن العهد من الإيمان :

بذلنا كل ما لدينا من جهود بسبب العشق

وتحايِلنا لوصلها بكل ما عندنا من عهود

فلما انعقد العقد ، وتوحدت أسباب العهد ، أخذ أعيان الدولة وأركان المملكة يكتبون رسائل التهئة لتجديد تلك السعادة ، وأخبروا القائد بطلوع قمر هذا الظفر ، وبدأوا في إعداد الأفراح ومراسم الزفاف :

عرس تعرّس عندها الإقبال وتنال في جنباتها الآمال
بدر يزف إليه وسط سمائه شمس عليها بهجة وجمال
سعدان ضمهما نعيم دائم قد مدّ فيه على الأنام ظلال

ومع أن الملك خطا في جادة الشرع ، لكن الخادم سار في خطا الفتنة وأبلغ ما جرى من تلك الأفعال ، وما وقع من تلك الأعمال إلى مسامع القائد فتفتت قلب الأب لحب فتاته دماء ، وكان يتلو رسائل تهئته وبشارته ، ويذرف الدموع من عينه وناظرته ، ويجرى هذا البيت الجاهلى على لسانه :

سأغسل عنى العار بالسيف حالبا على قضاء الله ماكان جالبا
تجرع شربة غصص الأيام وأسدل ستر السكوت على وجه
الانتقام: العداوة فى الفؤاد والجمرة فى الزناد ، ولما قرأ الرسائل كتب فى الحال لأجل المصلحة كتاب شكر لحضرة السلطنة ،

يشتمل على أنواع الثناء ، ويشحن بأصناف الدعاء ، فأى سعادة هذه التى ساعدته ، وأى كرامة هذى التى وافقته ، وبأى بيان يمكن شكر هذا الشريف ، وبأى بنان يمكن ذكر تاريخ هذا الإقبال ، والآن وقد وضعت تاجا على مفرقى أنا الخدام وقد فتحت بابا من السعادة على أنا الغلام ، فإنى عقدت حزام الخشوع على خاصرة الخشوع ، ووقفت على قدم الانصياع التام ، أنتظر أمر حاكم الحكام ، وسوف أصل بأقصى السرعة إلى حضرتكم ، وسوف أقبل طالبا السعادة أرض عبوديتكم وأنشد هذا الشعر وأزجى هذا الشكر :

ألبستنى نعمسا رأيت بها الدجى

صبحا وكنت أرى الصباح بهيما

فغدوت يحسدنى الصديق وقبلها

وقد كان يلقانى العدو رحيمما

كان يكتب فى الظاهر هذه الكلمات ، وكان يرتب فى الباطن خمير المعادة ، فى الظاهر كان أحلى من العسل الصافى ، وفى الباطن كان أصلى من السم الزُّعافِ :

مع أن وعد الحبيب على مذاقى

فليس وعده غير الخلاف والكر والخلاع

كان القائد فى باطنه غصصا يتجرع ، وفى ظاهره ملقا يتصنع ،
كان يوارى نفسه فى وكر المكر ويدارى قصة الغصة :

أتانى عنك يا ليس على مكروهة صبر
فأغضيتُ على عهد وقد يغضى الفتى الحر
إذا لم يصلح الخبير لمراء أصلح الشر
وفى الشر نجاة حين لا ينجيك منه إحسان

وأخذ الملك يمضى أيامه مع عروسه هذه ، تقرر عيشه
بلذات الوصال وتنور حكمه بأنوار الإقبال ، وكان يهب الخزائن
والدفائن إلى تلك المحبوبة ، وكان يرتب اللطائف والطرائف إلى
تلك المرغوبة :

صار الإيوان من سرور وصل الحبيب جنانا

وتفتح مزدهرا ورد المراد روضة وبستانا

كان الملك مستغرقا لذات الوصال ، وكان القائد مدبرا المكر
والاحتيال ، ولما انصرمت عدة شهور على هذه الحادثة استدعى
القائد دون علم الملك كبار جيشه ، وقال لهم : اعلموا أن لدىّ
سرا معكم لا بد من إفشائه ، وأنتم لا محيص لكم من إخفائه
ويعلم الجميع أن السر ودیعة لا يمكن إيداعها إلا فى قلب الشهماء ،
وهو مستودع ضمير درج لا يمكن فتحه إلا أمام الكرماء :

لا يكتم السر عند ذى كرم والسر عند كرام الناس مكتوم

فلا يجب إعلان هذا السر المستر ، وهذا الستر المخدر ،
 وإهمال حياتى وحياتكم ، وإبطال حسن نيتى التى هى نتيجة
 صفاء عقيدتى واضمحلال مصلحة رويتى التى هى ثمرة خلوص
 طويتى ، ألا إن الدين نصيحة :

ومن يك ذا فضل فيخل بفضله على قومه يُسْتَفَنَ عنه وَيُنَمَّ

فخضع جملة الأمراء والحشم للقائد وقالوا : كنت المقدم
 دائما علينا والمحترم ، افتخرنا برئاستك واستظهرنا بقيادتك ،
 وكان تنسم دولتنا من جنة رأيك الرشيد ، وكان تبسم سعادتنا من
 عقلك السديد ، فرأينا دوما منك الرشادة ، وقطفنا من روضة
 فكرك ورد السعادة .

فلما سمع القائد أمارات العهد والوفاء وعاین علامات
 الخلوص والصفاء قال :

اعلموا أن هذه المملكة أنتم الذين أقمتموها ، وشجرة ملكها
 أنتم الذين زرعتموها ، لكن ثمرة سعادة هذا الملك لا يحتظى بها
 غير الملك ، أنتم تعانون التعب الأليم وهو يجتنى الكثر العظيم ،
 أنتم تخاطرون بأرواحكم فى القتال وهو يهنأ بالسعادة والإقبال ،
 أنتم تلعبون لعب الحرب ، وهو يغتنم الغنم والسلب ، وأنتم
 تدرّون كم من المساعى بذلت فى نظم سلسلة الملك ، وتسكين
 زلزلة الهلك حتى انتظمت هذه الدولة فى سلك الاستقامة ،

وحتى انعدمت فتنة هذه المملكة بلطف الدراية ، ومع كل هذه السوابق الحميدة واللواحق الأكيدة طالما أنى لم يعد لى عنده إكرام فلن يكون لكم لديه احترام ، وحرمة الحرم من مواجب الكرم ولوازم ثبات القدم ، وكل من أذل أولياء دولته وأقل كرامة أمراء حضرته ، فلا مناص من مجازاة حقوقه بالعقوق ، ومكافأة أصناف وفائه بأنواع جفائه . رأيتم أنه اختطف ابتى من وسط الطريق ورجس ذيل شهامتى بلوث وضاعته :

لنا ملك ما فيه للملك آلة

سوى أنه يوم اللقاء منجوج

أقيم لإصلاح الورى وهو فاسد

وكيف استواء الظل والعود أعوج ؟!

وكان القائد يجرى هذه الكلمات على لسانه ، ومن فرط الحمية تجرى الدموع من مآقيه ، بل كان يثر على طلعتة دماء مهجته ، عن طريق باصرته ؛ فلما أتم الحديث صار جملة الأعيان والأركان متحدى اللسان ، وقالوا : نحن نتغصص من مدة الآلام ، ولا نقوى على الكلام ، وآن الأوان لأن نفص جعب سهامنا وأن نقص مضجع ملكنا :

إلى متى نتجرع الآلام من زماننا

ولا يحق أن نزن الزمان بجناح بموضة

ففتح القائد الكنوز والمدفونات ونثر الأعطية والهبات
فتجمعت جيوش عفية وارتفعت قاعدة قوية ، وباغتوا الشاه ،
وأحاطوه من يمناه ويسراه .

(مثل) رب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا ؛ فتحير الملك
فى حل هذا المشكل ، وتفكر فى نزول تلك الواقعة ، فقال
لعروسه : هذه الحادثة وليدة عشقك فما هو التدبير ، لأن الزمان
بلا إنصاف ، ووعوده إخلاف ، والآن وقد خالف الجيش فليس
لهذا الليل أمل للصبح ، وليس لهذه الحرب وجه للصالح ،
فقالت العروس : إن المصلحة هى أن نفارق حالا الولاية ، ونولى
إلى ولاية أخرى فى حماية والٍ آخر ، فقال الملك : إن المصلحة
فعلا ما ترين ، و قال الخير هو ما تشيرين ، وفى الخبر : الفرار
مما لا يطاق من سنن المرسلين ، وأخبر الحق جل وعلا على لسان
موسى الكليم (ففررت منكم لما خفتكم) .

وكان بقصر الملك باب مفضٍ إلى الصحراء مشيد تحت
الأرض ، فأمر فأعد له جوادان قويان خاصان ، وفتحوا له هذا
الباب المستور واعتلى صهوة جواد واحد منهما ، واكتمى بآلة
ضافية من السلاح ، وأجلس على الآخر العروس ، وتوجه إلى
الصحراء فى طريق غير مسلوكة . كانت الصحراء تتعالى فيها
هضبات الرمال مع شرفات الجبال ، وتتبارى فيها حشرات القفار
مع تماسيح البحار ، وكان من عجائب الاتفاقات أن العروس

حامل وقد اقتربت أيام المخاض والميلاد ، وأوان القمط والرباط
وأدخلت أسفار الشهود وأدوار الدهور الجنين فى حنين ، وكان
الشهر التاسع يطل فى الطالع ، وكانت الأم المسكينة فى تلك
الصحراء المترامية تتجرع كؤوس الحسرة وتتبلع نحوس الكسرة :
« الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه ولا يطلب رفع
البلاء من غيره » .

وبعد أن عدا الجوادان ثلاثة أيام بلياليها وصلا إلى مكان به
عين ماء كان مأوها فى مراراته كنوائب الزمان ، وما حوله فى
كلوحته كنبى الثعبان ، وأحست تلك العروس بآلام الوضع ،
على حافة ذاك النبع :

أعد عدتك فإن الزمان فى حسابان

يصيب العشاق بالإخفاق والحسان بالهوان

ويأس الملك وعروسه من حياتيهما فمن خلفهما سنان الأعداء
ومن أمامهما رمال الصحراء ، فقالت العروس للملك : إذا كانت
وقفتى اضطرارية ، فحركتك اختيارية ، وإن نقص العالم آلاف
مثلى ، فلن يكون كمثل أن تنحنى شعرة من على مفرق ملكك :

حبيبى فى مقام الهم لا تقم طويلا

وأقل كثيرا من مصاحبة المحزونين

فقال الملك : يا أعز من الروح فقدت الملك من أجلك
فكيف يتأتى لى أن أفقدك ؟ يمكن إضاعة الملك والمال ولا يمكن
التفريط فى المعشوق ذى الجمال :

مع كل هذا الآلام بتوفيق الله خضنا عشقا ولن نسلك سواء
وفى الخبر : المقدور كائن والهم فضل :

لا يجدر الحذر من الموت فى يومين
يوم يكون به القضاء وآخر لا يكون به
فالיום الذى يكون به القضاء لا يجدى معه التحايل

واليوم الذى ليس به القضاء يحتمل فيه الموت
أبدت الرضا بالقضاء وسجدت على عتبة حكم الكبرياء ،
وفى الحال ولد طفل بطلعة بهية وجوارح وجوانح رضية ، كأن
يوسف رجع إلى العالم أو أن القمر طلع من مطلع السماء ،
نجدُّ به كافة اللطافة ، وقدُّ له عامة الظرافة ؛ فلفت الأم وليدها
فى قرطة وقال الملك : يا خليلتى فى محنتى اعلمى أنه لا يجب
أن تعقدى مودتك بطفلك فهلمنى لكى ندعه بطرف هذه العين إلى
عين الله الرحيم ، ونسلك إلى الصحراء طريقنا القديم ، وفضل
الله الذى بلا حد لن يضيع هذا الولد فلكل بعوضة من مائدة
كرمه جانب ، وكل نملة من خوان إحسانه راتب (وما من دابة
فى الأرض إلا على الله رزقها) ؛ فلما سمعت الأم هذه الكلمات

ألقمت طفلها ثديها بنفس كابدة وأنفاس باردة وأرضعته قطرات
يسيرة وتركته على حافة البئر ، وكان مع الشاه جوهرة قيمة
عقدها على ساعد طفله وركب جواده بكبد مشوية وعين ندية
وتوجه إلى الطريق :

وحال النوى بينى وبين أحبتي فصيرنى فردا بغير حبيب
فلى نفس مكروب وعقل مُدَلَّه ووحشة مهجور وذل غريب

وكانت الأم المسكينة بنفس حزينة تمطر الدموع وتزفر آهات
المفجوع ، وكلما بلغ سمعها صرخة ظنتها صرخة من ولدها ،
وكلما سمعت نداء ظنته نداء من فلذة كبدها ، وعجز الملك
وعروسه أسيرين فى يد الزمان الغادر فشربا منه السراب بدل
الشراب والدماء بدل الماء ، واستحوذ القائد البلاد وأخذ يفرق
الخزائن وينفق الدفائن .

وآخر الأمر بلغ الشاه والعروس بعد شدة كبيرة ومشقة كثيرة
حدود كرمان ، وكان ملك كرمان من جملة كرام الزمان فلما
سمع خبر قدوم الملك (آزاد بخت) أمر حشمه فرتبوا استقباله
وأجاز لخاصته أن يقبلوا لمراعاته ويهيئوا له التزل الكريم والمنزل
الفخيم :

وأنا نعين الضعيف عند حلوله وعار علينا عونهُ حين يرحل

ولما استراح الملك من عناء الأسفار وطى القفار وزال ضناه
وعناه فى مسكن السعادة وموطن الرفادة أمر ملك كرمان فعقد
مجلس الاحتفال واجتمع المطربون العذاب ، ولحنوا ، الألحان
المكرمون للضيفان .

ولما تهذبت أسباب السعادة وترتبت آلات اللذائذ أرسل إليه
ولدا يقول إن الزمان زمان السعادة والسرور ، والأيام أيام البهجة
والحبور إذ تعطرت ساحة الإقليم بقدوم الشاه الكريم ، وتنورت
خطة الولاية والمصر ، بأنوار كسرى الدهر ، فإن منحنا تشريف
جماله حتى نسقى شرابا على مشاهدته لحظة وننسى هم الأيام
بوصل الكرام فإن هذا منقبة عظيمة ومكرمة عظيمة :

نحن فى مجلس أنس بك تحقيق مجازه
قد نسجنا الأنس يوما فتفضل بطرازه

فلما حضر ملك نيمروز وسيستان مجلس شراب ملك كرمان
رأى مجلس هو من اللجنة مظهرا وبستانا هو من الفردوس مذكرا ،
والحائنا أرغونية ومشارب أرجوانية . طار عنقاء المجد فيه ، ودار
كأس اللذة به ؛ فلما وصل دور الشراب إلى ملك سيستان أدار
الماء فى مآقيه ، وقال : ألا فليبق الله الملك ، كيف يطبق المرء
الشرب وبه آلام فراق الوطن وحسرة هجرة السكن ؟ وكيف يستسيغ
المدام من كان ملكه فى يد الأعداء والغوغاء ، وخزائنه ودفائنه فى
معرض السلب والنهب ، وفى أى جنان تستقر لذة الجنان ؟

تذكرت نجدا وغزلانه فهاج التذكر أشجانه
وما ذاك إلا لأن الصببا قضى فى مغانيه ريعانه
فلما رأى ملك كرمان تلك الحال وسمع ذاك المقال قال :
قُصّ علينا ما جرى لك من نوازل البلاء وشرح لنا ما حدث لك
من حوادث القضاء مع أنه لا يجب سؤال الضيف الكريم عن
سبب قدومه : لا يسأل الملوك عن أخبارهم ولا يدخل فى
أسرارهم ، لكن لأحوال الملوك مزاجا آخر ولألوان واقعة الملوك
علاجاً آخر .

فقص ملك سيستان ما جرى عليه من عدوان ورصّ أسباب
الفتنة واحدة تلو الأخرى ، فبدت فى قلب ملك كرمان رقة
عظيمة وشفقة جسيمة وقال : لا يحز بك أمر فإن إعانة الملك
على الملك فرض عين ونحن ممتنون إليك بهذه الاستعانة ومعتبرون
سبب بقاء دولتنا هذه الإعانة ، وقال القرآن المجيد (وتعاونوا
على البر والتقوى) ، ولما انقضت شهور عدة أمر بحكم الاقتراح
ملك كرمان بأن يتجه جيش كالكثبان إلى صحراء سيستان ،
فتملكوا بغتة أطراف الولاية والمدن وأوردوا الدمار بالعداء ،
بالسيوف الخاطفة للحياة ؛ فلما انعدم خصوم الملك وانهزم أعداءه
وذل جميع الخوارج ودال عَلمُ الأعداء صعدت أرواح المعتدين إلى
سجين ، وهبطت أجسادهم إلى الدرك الدفين ، وخرج أهل
المدينة عن بكرتهم لاستقبال ملكهم ، لأنهم كانوا على وفاء له

وجفاء لعدوه ، وتقدموا إليه بسرور وصدق وإخلاص ونثروا
الأموال الكثار بالإيثار والإكبار على قدمي مليكهم وأجلسوه على
تخت القدرة وألبسوه تاج القوة .

ولما سكن الملك مقر العز والجاه أكرم جملة جيش كرمان
وفرق عليهم الأموال وبعث بالهدايا إلى ملك كرمان وازدهرت
أشجار ورد الدولة ، وشدت بلابل السعادة وهطل سحاب
الإحسان ، وأشرقت شمس الأمان :

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا

وكوكب المجد في أفق العلا صعدا

وجعل الملك تخت العرش متكاه وثمرات العدل جناه ،
وطيراً بازى الهمة وسيراً عمارة الأمة ، وفي المثل (الإمارة عمارة) ،
وكانت الرعية في فرح بأوبته وأهل الولاية في فرج بنصفته ،
حكمة : (على حسب الاهتمام بالفقدان يكون السرور بالوجدان).
ولم يقعد بالملك هم خلا ولده الذي تركه على حافة البئر وفارقه
غير هواه :

إذا وقع الهجر بلا مدافع

فما الذي يمكن فعله ألا فليكن ما يكون

وللاتفاق لما ترك الملك وزوجته ولدهما على حافة البئر وصله
جمع من العيارين الذين كانوا يقطعون في تلك البيداء فوجدوا

طفلا مودعا على حافة العين فاق آلاف الحسان فى حسنهن وأحال
الصحراء بيها أنوارا وجعل عكس عينيه العين أزهارا :
وشادن كالقمر الفرد أحسن من نقد بلا وغد

فلما رأى مقدم العيارين ذاك الجمال والدلال قال : يبدو أنه
أمير ؛ لأن مخايل الملك ودلائل السلطنة تشع من جبينه وآثار
الأجداد وأنوار الاستعداد تلمع من وجهه ، لا يتولد مثل هذا
الرضيع من أى وضع ، ولا يتوجد مثل هذا الدر الأشرف
من أى صدف (لا يلد الأسود إلا الأسود) سوف يكون هذا
الطفل أسد الغاب ورجل الحرب والأسلاب ، فالتقطه على الفور ،
فلما رأى الجوهرة الثمينة معلقة بساعده صارت فراسته حقا ،
وحمله فى الحال إلى منزله وأودعه حاضنة ماهرة وقال : هذا
الطفل هبة من الله ، فسماه هبة الله أو (خداداد) ، وأصيب
الملك بالآلم ظنا أن ولده افترسه سبع أو لدغته هوام أو التهمته
سوام ، ولم يعلم بأن اللطف الإلهى قد استاق إليه رجلا شفيقا .
وكبر على مر الأيام حتى نما رجلاً شهيمًا وشجاعًا حكيمًا :

ماذا تظن بمالك العباد إنه لا يضيعهم لو تركتهم له

فعلمه العيار الأدب والعلوم وأبلغه الكمال فى الفصاحة
والأدب وإتقان لغة العرب ، وكان الأمير دائم الاصطياد ،
ويقضى زمنه مع العيارين فى النجاد والوهاد ، فلما اكتملت

شجاعته واشتملت جراته بعث به مقدم العيارين إلى قطاع الطريق وقال له : يا بني إن عملنا هو قطع الطرق وحرقتنا هي النهب والسَّرَق ، فكان الأمير إذا قطع طريق قافلة كان يستعمل كرمه الطبيعي ولطفه الغريزي ، ويترحم على ضعاف القافلة ، وكان إذا وُجد لدى تاجر مالا فاخرا وملكا وافرا أخذ أقله وأعاد أكثره ،

مثل : عليك بالإنصاف ولو في الإتلاف :

أجل إن الشهامة أولى في كل حال .

وحدث أن قطعوا طريق قافلة يوما ، وكان أهلها من الشجعان وأهل ضرب وطعان قد ابتلوا في معارك الحرب أنواع الطعان والضرب وذاقوا الحلو والمر في ميدان الكر والفر . ولما رأوا السراق لبسوا لباس الحرب واشتبكوا معهم ، فلما اتصلت الحرب انفصلت قلوب اللصوص فرقا من شوكة تلك الجماعة ، فانتصرت على السرقة ، ولما كثرت الجروح بخداداد وقع أسير تلك الجماعة فقيده كبير القافلة بناقة وأمر غلمانهم بمراعاته لأنه شاب هو أسد العرين وشجاع العالمين ، فقال خداداد: أجل أنا أسد العرين ، لكنني خالطت جماعة من الثعالب فغيرت همة الأسد الغالب إلى دناءة الثعالب ، وبدلت طعمة الشاهين إلى لقمة العناكب ، وكل من ودع الديانة والأمانة أودع حياته إلى مثل هذه الحالة :

إن العفيف إذا استعان بخائن كان العفيف شريكه في المآثم

سمع كبير القافلة كلماته هذه فقال : أيها الطفل الذكى أى
حرفة حمقاء أثرتها فى هذه الأثناء؟ ألم تعلم بالخبر (من لا يرحم
لا يرحم)؟ كيف تليق السرقة بالرجال وأنتى تجدر اللصوصية
بذوى الإفضال ؟ فقال خداداد : لو وجدت مكتسبا على موجب
الأدب والعقل ما سقطت فى أمثال هذه الفتنة وأشكال هذه المحنة
(إذا جاء القضاء عمى البصر) لا رد للقضاء الإلهى ولا حد
لحكم الأمر الناهى :

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
ويعلم عالم السر الغيبى أنى ما أثرت هذه الحرفة بمراد قلبى
ولم أطعم لقمة هذا العمل إلا بالكراه الممل :

هل الدهر إلا ساعة ثم تنقضى بما كان فيها من عناء ومن خفض
فلما سمع مقدم القافلة من خداداد هذه الألفاظ البديعة
والكلمات الوديدة تحركت بقلبه الشفقة والرأفة فقال : أيها الشاب
اللطيف لك روح شريف ولفظ ظريف وقولك روحانى وفعلك
شيطانى . روحك الناطقة صادقة ، ونفسك اللوامة علامة ، فإن
تبت بلغت حد الكمال ودرجة الرجال وأعاون خيريتك وأقبل
بنوتك ؛ فقال خداداد : إن عاونت خيريتى صرت لك عبدا
خالصا وغلاما مخلصا :

فأحسن : إننى أحسنت ظنى وأرجو أن ظنى لا يخيب

مثل : إذا ملكت فأسجع ، حكمة : عليك الكظم عند العثرة والعفو عند القدرة .

فك التاجر فى الحال عنه قيوده وظلوا سائرين حتى وصلوا إلى سيستان ، وقص التاجر ماكان من أمر خداداد إلى الملك ، فأمر الملك بإطلاق سراحه وشنق بقية اللصوص ، وكان التاجر يعامل خداداد كابنه وكان خداداد يعامله كأبيه بالأمانة والديانة ، واتفق أن ذلك التاجر حمل يوما إلى قصر الملك صندوقا مليئا بالملابس الحريرية وأخذ خداداد وذهب به إلى الملك ، فلما وقعت عينا الملك على وجه خداداد رأى طلعة معتدلة وهياة مكتملة وقدا مثل الصنوبر وخدا كالورد الأحمر : أنوار النجاة من هيئته لامعة وآثار المهابة من صورته طالعة ، لما رآه الملك تنفس بارد الأنفاس وقال : وا حسرتاه لو كان ابنى على قيد الحياة لكان بلغ إلى هذا الحد والقدر ، ما أعجب الأمر ! الأب يتمعن فى الولد وهو غافل عن أن هذه الزهرة من روضة نسبه ، وهذه الشقيقة من جبل طربه . إنه فرخ يتعلق بعشه وغريب يتمى إلى فرشه ، كان الملك ينظر فيه ويسلم عنان التفكير إلى يد التحير ، وكلما زاد فيه نظرا زاد تحيرا ؛ فسأل التاجر : هل هو ولدك ؟ فقال لا ، إنه من جملة أولئك اللصوص ، لكنه الآن من ذاك الفساد تائب ، وطريق السداد والصواب عليه غالب ، وفى الخبر: التائب من الذنب كمن لا ذنب له ؛ فقال الملك : هل بوسعك

أن تهبنى هذا الولد ، وأن تمنحنى هذا الطفل ولو كان مثل ابنك؟
فقبل التاجر الأرض وقال : لو كان لهذا الولد نسب ألف ولد بى
لفاخرت بملكيتة لسلطان البلدان ولاستظهرت بعبوديته لملك الزمان ،
فوهب الملك خداداد وخرج من عنده باستسعاد .

حكمة : إن لله لطائف أحلى من القطائف ، مثل : عش
رجبا ترَ عجبا :

عشنا إلى أن رأينا فى الهوى عجبا

كل الشهور وفى الأمثال عش رجبا

فخلع الملك على خداداد وألبسه قلنسوة الخواص وسأله :
ما اسمك ؟ فقال سماني أبى خداداد ، أما الآن فأنا عبد الشاه ،
والأمر له فى أن يسمينى ما يشاء ، فقال سميتك (بختيار) لأن البخت
رفيقك والسعد قرينك ، مثل : وصلت إلى دار السعادة فاشكر .

وأخذ بختيار يخدم الملك ليله ونهاره ، وكان الملك بحكم
تفرسه الأصلى والتفاته الجبلى يخلع عليه الخلعات ويرفعه درجات ،
وأراد الملك أن يمتحنه يوما فى المعاملات وأنواع الدخل
والإخراجات ، فأوكل إليه الإشراف على الإصطبل الملكى فبذل
بختيار فى ذاك الشغل الكفاية والأمانة حد أنه لم يترك منهما
دقيقة ، كان يراقب دوما حظيرة خيول الملك ويشاهد دائما أحوال
الإصطبل الملكى حتى كانت الخيول السلطانية والجياد الملكية تزداد
ضخامة وفخامة .

وأتى الملك يوما لرؤية الإصطبل فرأى الجياد فى طراوة وحلاوة مختلفة ، سمن منها ما كان نحيفا وثخن منها ما كان ضعيفا عجيفا ، فأدرك أن هذا من أثر كفاءة بختيار ، فخلع عليه فى الحال عباء خاصا به وجعل له إمارة الإصطبل .

مثل : أول الغيث رش ثم ينسكب ، وأخذ بختيار يرتقى سعادة ومجدا وتلقى أحواله الأفضال وتبينت ديانتة للملك وتبرهنت بالقرائن أمانته ، مثل : الطيب لا يخفى ريحه ، وقال الملك : إن من اجتمع فى طبيعته كل هذه الصيانة والعفاف وحسن الأوصاف تليق به رعاية الخزانة لا عناية الإصطبل ، فإن الخزانة لا مناص منها لنظم الملك ، والملك به يتعمر وذخائر الأموال بكفاءة أعماله تتوفر :

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا على الناس حتى عدَّ ألف بواحد وأمر الملك أركان الدولة وأعيان الحضرة ليؤدوا إليه التعظيم والتكريم وتسليم مقاليد الخزائن ومفاتيح الدفائن إليه ، وأخذ بختيار يرتب دخل الخزانة وخرجها ويسوب أنواع المحاسبات والمجموعات فلم يكن يعطى واحدا درهما إذا لم يكن معه توقيع الملك ، ولم يكن يفتح قفلا لواحد مالم يجلب معه ختمه الخاص ، فعمرت فى أقل زمان الخزانة ، وتوفرت أموال الخزائن :

إن الرجل الطاهر اليد الأمين خير من آلاف الدر الثمين

وكان مقربو الحضرة وخواص الدولة كلما رأوه محل نظر
الملك يرمون به بحكم حسده ، وكان أمر بختيار كل يوم فى
تزايد ودولته فى تصاعد ، كان يشتري العبيد ويجمع آلة البأس
الشديد .

وحدث أنه كان يشرب شرابا فى دار الاختلاء ، ويمنح غلامه
الذهب والكساء ، وكان الوقت ربيعاً والعهد بديعاً مورداً مزدهراً ،
وكان السحاب يصب اللآلئ والصبا تكب العنبر والغالية ، وبدأ
السرو المستقيم بين الرياض الرقص ، والبط فى قعر الحياض
الغوص ، اكتسى المكان بالطيلسان الأخضر ، وارتدى الزمان
القباء الأزهر ، بدت الألوان العجيبة فى الأكوان الغربية من مسام
التراب فى صور غراب ، وثارت ببختيار رغبة التريض بالصحراء
وتنسم تبسم الورد ساعة والتنعم بتنعم وترنم للبلبل ، وكان ينشد :

اطرب على وجه الربيع الأزهر اشرب رحيقك فى جميع الأدهر
فى روضة نظم الغمام حليها من لؤلؤ مع دمه المنهمر

وكان للخزانة باب مفض إلى قصر السلطان وتطل على
جانب الإيوان والبستان ، فخرج بختيار بحكم الشماله من ذاك
الباب فرأى حجرة مزدانة بها تهاويش الألوان وصور ثوابت
السماء منقوشة على الجدران ، وكان بهذه الحجرة سرير منصوب ،
كان الشاهى ستريح عليه بعد الغروب ، وبفعل السكر ألقى بنفسه

على ذاك السرير ، وراح في سبات وشخير عميق ، وظنت الجارية أنه الشاه في نوم ، فوضعت غلاية الماء كما تفعل كل يوم . فلما قصد جيش الروم جهة الغروب وبدأت طلائع عسكر زنجبار الظلام بالهجوم والإقدام ، أقفل الخدم أبواب القصر ولحق أصحاب الحرس وقادة الجرس بميادين السماطين دخل الملك الحجرة فرأى بختيار ملقى على سريره الخاص وواضعا رأسه على وسادته ومسنده المتراص ، فزعم الملك في بختيار قائلا : يا شقيا بلا خطر لماذا في حرمتنا تنتظر ، ولأى شىء جئت ولمن قدمت ؟ أحل الإدبار بجسدك الدمار واحتلك نهار يومك بسوء طالعك

وأمر فقيدوا بختيار وألقوه رهن الاعتقال . حكمة : السكون على الجمر أهون من الركون إلى الخمر . حكمة : السكر أوله شرف وآخره تلف . ما أكثر الرجال الذين ألقى بهم الخمر إلى القعر ومن الثروة والغنى إلى الفقر والضحى ، والصبوح الذى لا يتأتى منه الفتوح خير ألا تتناوله ، والمدام الذى يزول به الاحتشام والاحترام أولى ألا تجرعه .

فلما ألقى بختيار بالسجن توجه السلطان إلى سراى حريمه بقلب حسير وخاطر كسير وغضب على سيدة أهل الحرم وكانت أم بختيار وصرخ فيها اصدقينى القول : ما سبب هذه الفاجعة ؟ إن بختيار لم يقدم إلى هذا الموضع بدون دليل يسابقه ، ولا يمكنه أن يأتى إلى هذا المنزل بلا سابقة ، فقبلت الملكة الأرض وقالت :

أيها الملك من له طاقة هذا الخطاب وإمكان هذا السؤال والجواب؟
اصبر حتى تظهر مادة هذا الابتلاء وسبب هذا الاجتراء ، ثم مر
بأى عقاب تراه وأزل صدا التلف عن مرآة الشرف وإذا غضب
الشاه على أنا العاجزة فالأمر أمره ؛ فأمر الملك بقاء أهل الحرم
وقيد بيده سيدتهم ونام بمهجة جريئة بسبب هذه الفضيحة .

وفي اليوم التالى لما حضر أمراء الحضرة إلى الحضرة وجلس
جمع الوزراء ، كل فى مقامه المعلوم بالأمام والوراء ، ولحقت
بهم أيضا طائفة خواص السماطين رأى الوزراء فى صفحة جبين
الشاه آثار التغير والتكدر ، ولكن لم يكن لواحد منهم الجرأة على
السؤال عن هذه الحالة إلى أن استدعى الشاه إلى عرشه الوزير
الأكبر وكان مقدم الوزراء وأفضل الحكماء ، وقص عليه ما جرى
بالبارحة من حوادث فاضحة ، وكان الوزير يضمم الشر لبختيار
الخير ويسمع من النواب والحجاب سعيهم ووشايتهم ، فقال :
حانت الفرصة لكى ألحق به الدمار ، وأمطر على رأسه عذاب
الأمطار . مثل : الدهر فرص وإلا فغصص ، قال الوزير : أيها
الملك إن من له باللصوص نسبة واقترابا ونشأ فى الصحراء طفولة
وشبابا كيف يستأهل قربي مالك السبرية ويستحق خدمة هذه المعية ؟
إذا غرس غصن الإنعام فى طينة غير طيبة فلن تثمر غير القلق والأرق :

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلى

مضر كوضع السيف فى موضع الندى

فقال الملك : اذهب وتفحص هذه الأحوال وتمحص هذه الأفعال حتى يميز البريء من ذى الإجرام فنسلط عليه سيف الانتقام .

فقدم الوزير إلى الملكة ، وقال : ما أشنع هذه الحادثة وأفجعها والتي نالت من جناباتك أرفعها فقد تفتت بها قلبى وكبدى وتشتت بها عقلى وذهنى فافصحى لى عن حقيقة الحال فلربما ظهر لهذا الفساد صلاح ، ولهذا الليل المظلم صباح .

فقالت الملكة : اعلم أنى لا أدري خبراً عن بداية ما حدث ونهاية ، ذاتي من هذه الفضائح بيضاء وشخصى من هذه القبائح براء .

فقال الوزير : إن صلاح أمرك أن تقولى كل ما ألقنه لك ، وأن تفعل كل تمويه لتزيهك حتى يندفع هذا العار عن ذيل فستانك وينقلع هذا الشوك من أرض بستانك ؛ فقالت الملكة : أنت أبى وأنا ابتك وافعل كل ما تأمر به لأنك تغرض براءة ساحتى ، وتقصد مرهم جراحتى ، وكل قطرة تتندى من سحاب عقلك درّ ثمين ، وكل نكتة تتبدى من لفظك اللطيف جبل متين ؛ فقال الوزير : صلاحك أن أنقل للملك عنك أن هذا الولد السيء العنصر كان يقوم بحركات كرات ولم يلق بالاحترام حرملك بل يلقى بالطوب علينا من سطحك ، ويقول : إذا لم توافقينى فسوف آتى ليلاً وأضرب عنقك وعنق الشاه ؛ فقالت الملكة : لا يجب أن نلوث بريئاً بلا سبب ، ونجعل غريباً طعمة سيف الغضب ، وإلا حل بنا جزاء هذا فى العاجل ، ونزل بنا فى النار

مكافأته فى الآجل ؛ فصاح فيها الوزير : إن ابن اللصوص الذى قطع أزمانا طريق القوافل والعابرين ، وانتهت بلا سبب أموال المسلمين كان دمه فى الشرع مباحا ، وقتله فى الدين صلاحا ، وقد أفتى القرآن الكريم فى هذا بقوله (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يُقَتَّلُوا) ؛ فقتله سبب الثواب وهلكه عين الصواب ؛ فقالت الملكة : الأمر لك فإنهم يعدونك مفتى هذا العهد ويسمونك مسيح هذا المهد .

وقدم الوزير إلى الملك وأطلق لسان التضريب فى التخريب وأورد كل نوع من الكلمات فى تأليفه وكل جنس من التخليطات فى أراجيفه وتصنيفه فزاد الملك غضبا وأمر بنصب مشنقة لبختيار لأجل الاعتبار ، وأتى به إلى المجلس ونظر فيه الشاه بنظرة الانتقام وقال : أيها المحتال الذليل فوضت إليك الخزائن الملكية والدفائن السلطانية وآثرتك عن خواص الحضرة وأركان الدولة ، ألم تستح حين بدلت طريق الأمانة إلى الخيانة وجعلت عرضك مستحقا لحبل المشنقة واعتبارا لأهل المملكة ؟ فرفع بختيار هامته وقال : ألا فليبق الله ملك البلاد وصاحب السعادة والأمجاد ، فى هذا المقام الذى أقف فيه الوقت هو وقت وداع الأرواح ، والأوان أوان النقلة من الدنيا والرواح ، لكن هناك كلمة لصاحب الشريعة على هذه الجملة وهى : إن لصاحب الحق يداً ولساناً وبما أنى برىء من كل التهم وطاهر من كل جرم ؛ فإن لم أكشف براءة

ذمتى فقد سعت فى إتلاف حياتى وإسراف ذاتى ، وقد قال الله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وبحمد الله فإن الشاه راعى الرعايا ومراعى الغربا قد تزين بستان العدل بزال عقله ورؤيته وتحلى مرتاض الملك بدينه ودولته ، والسعود السماوية يمينه والمرادات الدنياوية قرينه ، نظم الحشم والخدم بمكارم الأخلاق والمناقب ، وحل هذه المشكلات والمعضلات بنور رأيه الشاقب ، وقد قال تعالى (فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) :

مكاني من نعماك غير مؤخر	وحظي من جدواك غير مضيع
وانى وإن بلغتني شرف العلى	وأعتقت من ذل المطامع أخدعى
فما أنا بالمغضوض فيما أتيت	إلى ولا للوضوع فى غير موضعى

أيها الملك مر بحبس عبدك ولا تتعجل بقتلى فلعل براءة ساحتى تغدو للرأى العالى معلومة ونزاهة عرضى تصبح لديه مفهومة ، فقصتني مثل قصة ذلك التاجر الذى أدبر حظه وانتكس أمره . صار نهار دولته حالك الظلمة ، وهواء سعادته دخان العتمة ؛ فقال الملك : وكيف كانت قصته ؟ فأطلق بختيار لسان الفصاحة وطير عنقاء البيان القادر وبدأ حكاية ذاك التاجر .

الباب الثانى

قصة التاجر الذى أدبر حظه وانتكس أمره
وفى ضمن القصة عبر للعقلاء وحكم للفطناء .

قال بختييار : أدام الله الملك ، حكوا أنه كان فى العهد
الماضى تاجر بالبصرة صاحب نعمة كريمة وثروة عظيمة ، ملك مالا
وفيرا وجمع منالا فاخرا ، وكان دائم التجارة واكتساب الثروة ،
وكان يقضى سنينه وشهوره فى التجارة فى الأمصار والشغور
ويظهر عند إقباله وحظه وجده السرور والحبور ، وبما أن سفر
البحار أكثر نجاحا وتحمل الأخطار فيه لتحصيل الأوطار أكثر
إرباحا فقد كان يقص مقال « جاور ملكا أو بحرا » ، ويتلو مثل
« من قصد البحر استقل السواقى » ، ويمضي زمانه فى رغبة
الشباب وشراب الشراب ، وكان لربيع مراداته طراوة ولأشجار
لذاته خضرة ، تفتح فى روضة حياته فم ورد السعادة ، وتفتق
على غصن لذاته لسان عندليب الغبطة :

دعوت المنى ودعوت العلا	فلما أجابا دعوت القدح
ذا أدرك المرء أماله	فليس له بعدها مقترح

وحدث أن شوش مكر الفلك وشعوذة الزمن الحلك أحواله
فصارت تدابير الصائبة خاطئة خائبة ومساغيه الجميلة خاية نائية،
أحرق خريف حوادث الزمان ورق جنة مراده ، وأزهق خفقان
تخير الحدثان أنفاس روضة مرامه :

الحر في نوب الأيام معتبر والدر في حالته الصفو والكدر
فبهت التاجر حائرا وفكر وقال : إن أمرى هذا لا بد له من
تدبير ومشكلى هذا لا بد له من تفسير ، وأتى فى الخبر (ما خلق
الله تعالى داء إلا وله دواء) لكل داء دواء ولكل حادث انطواء ،
قال لنفسه : كان لى لسنوات عديدة فى أطراف العالم تطويف ،
ولنقد الحقيقة والمجاز لأوقات مديدة تصريف ، وآخر الأمر
حاصل الزمان خواء وناتج الأيام فضاء :

قلت لنفسى : أين صارت تلك النعمة والدلال

وأين سارت تلك السعادة والإقبال

فقلت : ذهب الجميع فكيف تعود

وأنا الأنين والأنات واللىالى الطوال

وبما أن الأخطار والمشاق لم تعد سبب المراجعة وأسفار العراق
لم تصر مادة المسامحة وغدا قرينى هو الفلك الغدار وقلب لى
الدر ظهر المحن فالأولى أن أوتر زاوية السلامة والمدارة وأجلس
بركن الاعتزال والموارة :

خليلىّ إن الدهر ما تريانه فصبراً وإلا لاشىء سوى الصبر
عسى الله أن يجعل لنا منه فرجة يجىء بها من حيث ندرى ولا ندرى
يعلم العقلاء أن ليس من مدام صاف بلا خمار ولم يقض
عاشق ما وصله سعيداً إلا وذاق بعد ذلك آلام الهجر شديداً ،
وقاسى من محن الفراق عديداً ، وكل من له بالدقائق العجيبة
للزمان اطلاع ، ومن حضيض خسة البهائم إلى درجات أصحاب
العزائم ارتفاع ، فإنه يطالع من الزمان فى كل لحظة ربيعا وازدهارا
ويراعى منه فى كل لمحة صيفا وإقفارا ، وقد قال المصطفى عليه
السلام : الدنيا دار زوال ولا تدوم لأحد على حال إمّا نعمته زائلة
وإمّا بليته نازلة :

لنا من أهل الدهر آمال طوال نرجيها وأعمار قصار
ومن أهل المنازل غير ركب مطاياهم رواح وابتكار
قال : المصلحة أن أسكن سواد البصرة وأختار الرفاهية
والراحة وأتَّصِنَصْ فى دفع محنة الزمان ، وأتربص بهذه البقية
التي بقت ، وأقضى أيامى بحمرة شفق وسد رمق ، حتى لا ترتفع
فى بقية عمرى هذى ستارة عفافى ولا تنقطع فى نهاية حياتى هذه
مادة كفاحى :

من عَفَّ خَفَّ على الصديق لقاءه وأخو الحوائج وجهة يتثقل

وإن مدّ العين إلى كاسه الرجل وكيسه هو زرع بذر إدبار المرء
وذلته ولا يحق له أن يرمى بنفسه كالذباب على كل كاس
ولا يجب له أن يجعل نفسه كالقذى على عين كل الناس ،
بل عليه أن يكون كالورد والبلبل ، فالورد بلونه وشذاه رَوْح كل
جمع ، والبلبل بلحنه ونداه راحة كل سمع :

كن كالورد في روضة وصل العشاق

أو كن كالبلبل يصدح أعلى شجر الورد

فاشترى التاجر بما بقى من مال مؤونة ، وقال : حاجة الخلق
بالطعام والأكل أكثر من أى سلعة أخرى ، والمؤونة تعز في فصل
الربيع وتصبح فيه الأهراء خواء فلعلنى أحصل من هذه المؤن
منافع كثيرة واعتنى أن يصلنى منها مرائب كبيرة ومكاسب غزيرة :
إذا لم يبق للقائظ رجاء وأمانى لم يبق أحد ثابتا في هم الزمان

كان يقضى الصباح والمساء في لعل وعسى ، وللاتفاق
بالتقدير الإلهى وقضاء الأمر الناهى لما أتى الربيع رخص المأكّل
ونخفّض المطاعم وغدت أنواع النعم بلا حد وعد ، فلما تدبر
التاجر أمره رأى باقى ماله مستهلكا ووجد نفسه لجور الفلك مهلكا :

آلام الدهر منزلها ماؤنا وطنينا

وحيثما ظهرهم^٢ تعرف إلى قلوبنا

حار التاجر فى أمره ، لم يطاوعه قلبه فى أن يبيع بضاعته
بخيسة رخيصة ، فقال أصبر للعام القادم ، فلعله يرفع الأسعار ،
وينيلنا المستقبل الأوطار ، وفي العام التالى بالتقدير الإلهى
واللطف غير المتناهى بدا من الخصب والنعمة والروح والروحة
من طينة الأديم وسكينة السديم ، حد أن كل شوكة غدت ريحانة
وكل قذى صارت أقحوانة ، وكانت الشمس لا تزال بحانوت
الحوت ، فارتدى العالم قباء أخضر من يد اعتدال الزمان الأزهر
واجترع كل نبات شربة الحياة .

فتبرم التاجر من هذا المشكل الغادر ، وقال : إن بيع البضاعة
بالخسارة ليس من البصارة ، والأولى أن أقصر يدى عن تصريفها
وأحتفظ بالغلة فى تجويفها ، وفجأة تسلل الماء إلى أهرائه فأصببت
غلاله بكل ضرر ونال جميعها العفن ، فأطال الناس الطعن
واللعن ، فكان عليه أن يدفع مبلغا من المال تكلفة جمع هذه
الغلة المعطلة المعفنة وحملها ورميها بالصحراء (كطالب القرن
جدعت أذنه)

اسمع طرفة مثلاً لما حدث لنا

ذهب حمار لياتى بقرنين فأضاع أذنيه

وصارت هذه المحنة علاوة على خسارته وإضافة إلى ميزان
قساوته ، وحين كان الناس يرونه يلقي بتلك الغلال خارجا كانوا
يلعنونه ويسبونونه ، فكان أحدهم يقول : وجه المَخَزَن شوم ،

ويقول آخر : انتظار القحط والغلاء غاية اللوم ، وقال الرسول عليه السلام (المحتكر ملعون) فحار التاجر وتخجل أمام الناس وتسجل كفره عند أهل الإيمان فأخذ يجرى هذا البيت على لسانه ليل نهار :

لماذا أهدر العمر فى التحايل

إذا كنت لا استظهر على حظى العاثر

فأدرك التاجر أن تديره ذاك لم يصب الصواب ، فجمع ماله من مال محقر وتوجه إلى جانب البحرين بصدر يملؤه نعب غراب البين ، وقال : ألعب لعبة أخرى فلما أن أنتفع بها أو أفجع منها ، حكمة : إما الملك وإما الهلك ، ومن خطب الحساء لم يغلها المهر .

الخلاصة : وافق جماعة من الرفاق ورافق جمعا من التجار وركب الفلك وسلم زمام ناقتة إلى يد المساء والصباح وأسلم بالليل والنهار سمعه إلى صوت الملاح :

جعلنا الزمان راحلة أسفار ترك القفار وتنزل العمار

ولما انقضت ثلاثة أيام بلياليها هبت فجأة ريح نكباء من مهب القضاء وتحطمت ألواح السفينة كألواح موسى وتأملت أرواح أهل السفينة كأرواح بنى إسرائيل ، ولم يعد للسفينة أضلاع أو أرباع ولم يعد لساريها شقة أو ارتفاع وغدا أهل السفينة طعمة المنون

وتمسك ذاك التاجر بلوح خشب ، وكان مرة يتزلزل فرقا من صباح
التمساح ومرة يتململ خوفا من الحوب فيلتمس الدعاء والقنوت
ويتلو قوله تعالى (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين) وعلى سطح لجة البحرين جعل الريح لوحه الخشبي
كالخزوف في يد الصبي ، أو كالخزوف في فم الضري ، وكان
يلقيه كل لحظة من مكان إلى مكان ويرميه في كل برهة من عالم
إلى عالم ، وكان التاجر مع نفسه في نداء و نجاء وهو بين الأرض
والسما قائل : لو كان لى من هذا البحر نجاة وبهذا العالم يوم
حياة لرجعت إلى الأهل والعشير ، ورضيت فى كل يوم برغيف
شعير :

لو أزاح قلبى عن نفسه غبار أحزان هواك

ما طرق باب عشق أحد سواك

وبآخر الأمر بعد أمد مديد وعهد بعيد هبت ريح يوما وألقت
بالتاجر برا ، فتوجه التاجر إلى العراء والصحراء يبطن خاو
وجسد عار وقلب ضعيف وقالب نحيف حتى يجد مغيثا أو يلقي
أنيسا ؛ فلما سار يوما وليلة صادف جبلا ألقت لطافة خضرته
عكس صورتها على السماء ونشرت نفحات نباته نكهة العنبر فى
الصحراء ؛ فقال التعريج إلى هذا الصوب أقرب إلى الصواب
فاتجه إلى هذا الجبل بقلب يملؤه الأسى والوجل .

وإذ بقرية تظهر له فرآها موضعا ذا نعمة ومحلا ذا نزهة ،
صحيحة الأديم ، علية النسيم ، ضاحكة التراب ، باكية السحاب
...ساؤها من أثير ، وترابها من عير ، ورأى وسط القرية قصرا
بديعا ، وإيوانا رفيعا ، ومعارج وسقفا وسررا وزخرفا وصاحب
ذاك القصر دهقان منعم وسيد مكرم جلس على شرفة واصطف أمامه
الخدم والحشم فوقعت عين الدهقان من أعلى الشرفة على التاجر
ورأى ذاك المرحوم المحروم وشاهد آثار الكربة وغيبار الغربة على
محياء فناده من أعلى شرفته وأخذ يستفسر منه عن أحوال أوقاته
وأحداث نقلاته ، فكان التاجر يحكى قصص الغصص ويثقب
دموع مقلتيه بأسنة أهدابه ، وكان الدهقان يظهر من عجائب البحر
ونوائب الدهر استعجابه ويبدى من حوادثه العجيبة ونوازل الغريبة
استغرابه ، ويبرز شففته بهذا التاجر المضرور والحيران المهجور ؛
فأمر فى الحال فأعد له مقام كريم وطعام هضم وهى له الفاخر
للباسه بل علاج إفلاسه ، وظل التاجر فى إرم كرم هذا الكريم
وفى ائتناس وبعد محنة الليالى بذاك النعيم المتوالى فى نعاس :

نزلت على آل المهلب شاتيا

غريبا عن الأوطان فى زمن محل

فمازلت فى إكرامهم واصطناعهم

وإنعامهم حتى حسبتهم أهلى

رحم الله كريما قابل الغريب بالترحيب وأزاح بكم مروءته
الغبار عن وجهه الصفار . إن النعمة التي لا تكون مرهم
مكروب هي نعمة على شرف الزوال والمال الذي لا يصير شفاء
محروم فهو مال وبال :

لا يقرر قرار قلب بمالك فاعلمن أن الزمان مخطفه من كفك
بتر مال البخيل بحادث أو وارث . مال البخيل إما هدف
لسهم الحوادث أو علف لوارث ، أما ثروة أهل الكرم والجود فهي
باتفاق العالمين واجبة الوجود ، مثل : من جاد ساد ، حكمة :
الجود من كمال قوة الإنسانية في قبول أنوار الرحمانية .

القصة : أودع ذاك الدهقان إليه وكالة الأسباب وإيالة الأرياب
وقال له : وجب إشرافك على دخل الزرع والضرع وتصرفك
على ناتج الصحارى والبرارى ، واتفق أن ظهر فى ذاك العام دخل
بلا عد وغلة بلا حد وزال ما حدث من خلل بالسعد السماوى
واللطف الربانى ، ولما حل جرم الشمس من أوطان السرطان
بجسد الأسد ، انعقدت الحبوب فى سنايلها واتصلت اللبوب فى
منازلها ، وأحصى التاجر حساب حق سعيه فوجد فى أجرة عمله
كثرة وفى مرسوم شغله غبطة ، ففكر فى نفسه فى أن الدهقان ليس عليه
أن يبلغه تمام أجره والمصلحة هي أن يحتاز بدون علم الدهقان حق سعيه
بنفسه وألا يحرم نفسه بنفسه فإن أعطاه حق عمله غير منقوص ،
أعاد إليه ما احتبسه من حصوص ، وإذا لم يعطه نجا من غصة

فوت الحصة ، وفى آخر الأمر لما جمعت البيادر ومسحت الأرض
من الغلال جمع التاجر أجرته بتمامها وأودعها غارا .

ولحظه العاثر اكتشف لص ذاك المودوع فأتى بالليل وجمع
سائر تلك الغلة وذهب بها :
حينما يتكدر زمان الرجل لا يفسيده فعل ما فعل

فلما وصلت الغلال إلى أهراء الدهقان رأى كثرة الدخل فأمر
بإعطاء التاجر أجر عمله فأرسل إلى وثاقه من أنواع الفواكه
والأثمار أضعاف المعهود ولوازم الجود ، ولما رأى التاجر هذا
الإنعام التام قبل الأرض بدافع الإنصاف وقال للدهقان : أدام الله
السيد الدهقان . لم يدر بخلدى أنه فى بسيط العالم من يماثلك
فى الكرم ، فكل همتك إكرام وإنعام ، وكل مقاتلك بذل وفضل ،
وكان غالب ظنى أنك لن تجزىنى حق مسعاى ولن تكافىنى وفق
مبتغى ، فاحتزت أجرة عملى وحبست تلك فى غار جبلى ،
وبما أنك لم تمنعنى شيئا من إفضالك ونوالك ، فأنا سائر الآن
ومحضر تلك الغلال ، ومودعها إلى قابض الأموال ، ولم يكن
يدرى بذاك الذى سبقه وسائر المال سرقه :

عذلت بنى عمرو فطال لهم عذلى

لعلهم يوما يفيقون من جهل

يعافون إلا من عقول مريضة

وكم من صحيح جسمه إلا من العقل

فلما غادر التاجر إلى الجبل لم يجد حبة غلة ، وحين بلغ
الخبر الدهقان تغير على التاجر بسبب الخيانة وتأثر منه بحكم ترك
الأمانة ، فأمر باستخراج جميع الغلال منه وإخراج التاجر بأنواع
الذلة من الحلة ، فاتجه التاجر بلا شراب وطعام وبدون راحة ومنام
إلى بيداء الخذلان وصحراء الخسران ، وكان يقول لنفسه مثل :
يداك أوكتا وفوك نفخ .

وفى نهاية الأمر وصل ساحة البحر ، ولما رأت جماعة من
الغواص ذاك التاجر عرفوه . كدر غبار الغربة طلعتة وشوشت آثار
الكربة حالته ، فقالوا ماذا جدّ لك حتى سرت فى الدنيا بلا زاد
وراحلة وبكل مشقة ونازلة ؟ فقال : قصة محتى طويلة الإزار
وطريق بليتى له ارتفاع وانحدار :

ألا موت يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيه

وأخذ التاجر يقص ما جرى له من محن الزمان ويقول ما
حدث من بلايا الحداث ويثقب بسن أهدايه لآلى مدامعه ويزفر
أنفاس فجائعه وفظائعه :

وكانت يد الأيام تقبل إمرتى فصارت يد الأيام تنقضنى نقضا

وقال تعالى : (إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) ؛ فترحم
الغواص على حاله وقالوا : لا بد من مراعاة هذا الحر ومكافأة
سوابقه ؛ فاتفقوا حين يغوصون فى البحر أن يعطوه ما يجدون

من غث أو سمين وحقير أو سمين ، وشاء الله أن يستخرجوا
ست حبات من الجواهر الناصع الثمين كل منها تليق بخزانة
السلطان وتجدر بتاج ملك الزمان فأعطوه هذه الجواهر وأخذها
فظهر في روحه ارتياش وفي جسده انتعاش ؛ فقد حصل ثانية
على مادة السعادة وروح السيادة ، ووجد ماهو مطلوب العيش
ومرغوب المعيش ، وقال : أكتسب ربيع معيشتي طراوة وأجتلب
مرير عيشتي حلاوة :

الحمد لله على إحسانه قد رجع الحق إلى مكانه
المنة لله أن بعد الهجر الطويل وافانى من المجد وصل أصيل

القصة : وتوجه صوب مدينة البحرين بقلب سعيد ،
وتصادف ترافق جماعة من اللصوص له فحار التاجر خوفا من
موافتهم واحتار فرقا من خطر مصاحبتهم ؛ فقال في نفسه
لا مناص من مداواة حظي الشقي وطالعي الردى فإن علم رفاق
الشوم وحرفاء اللوم هؤلاء بجواهرى فسوف يسلبون سائرها
ويهدرون دمي إثرها ، وكان يخفى الجواهر داخل فمه فأخرج منه
جوهرتين وأودعهما جيبيه وفتح عينيه لأعاجيب الغيب ليرى
ما تتمخض عنه الليلة الحبلى ، وما يترصد فى أكناف الزمان من بلا :

لى حظ غير موافق وجائر ينظر إلى مع الزمان الدائر

ولما انقضت بالتاجر فترة قصيرة أصابته سعلة مباحثة شديدة
فقفزت الجواهر من فيه ، فلما رأى اللصوص ما جرى من حال
قاموا بتعذيب التاجر فى الحال ، وقالوا : سقط ما كان فى الحلق
ويجب أن يسلم جميع ما بالدلق ؛ فلما أكثروا ضربه ولم يظهر
لهم شىء قيدوه وخلوه راحلين وصدق عليه مفاد هذا البيت :

خليلى إن الدهر ما تربيانه

فصبر وإلا لا شىء سوى الصبر

ومن عجب أنك لا ترى بالزمان

إلا زهوراً طبعها كله شوك

وكان التاجر قد غيَّب وعيه من شدة التعذيب وذهل عن
فقدان مقصوده من فرط التغيب ، وكان أحد الفلاحين مارا
بجانب المدينة فلما رأى التاجر خارا على الرمال ساحا من عينيه
الدموع الوبال يقاسى الريح الصقيع ويعانى نار الهم المريع ترجل
الفلاح من فوق حماره وضرب وجه التاجر ببعض الماء حتى أفاق
، ورأى الفلاح وأجهش بالبكاء ورجاه أن يحمله إلى المدينة فإن
اللصوص قد سرقوا ماله ومناله وتركوه رغم الغموم والهموم ؛
فأجلسه الفلاح على دابته وأسرع به إلى المدينة ، فلما رأى التاجر
المدينة جد عليه راحة الجنان وصار بمنأى عن إزعاج الزمان وقال :
الحمد لله فلا يزال معى جوهرتان ثميتان أبيعهما وأستغنى بثمرتهما

وأجتنى العيش بشمراهما ؛ فتوجه إلى السوق في الحال عند باعة
الجواهر ، وأخرج الجوهريتين وأعطاهما لبائع عجوز ؛ فلما رأى
البائع تلك الدرّتين البهيتين تلمعان من صفاء جوهريهما وتميعان
من غاية ضيائهما ونورهما وبهائهما أخذ بخناق التاجر ، وقال :
أيها النجس الرجس لقد سرق مني مال عظيم به هاتان الجوهريتان
فقر واعترف ماذا فعلت بمالي وإلام ذهبت نعمتي وثروتي ؟
فاستيق التاجر بأنواع القهر والضعينة إلى دار القاضي ، فأوكله في
الحال إلى الموكل بالحبس ، وقيل للتاجر : أعد للتاجر ماله بوجه
اللطيف حتى لا يسترد منك بوجه العنف ، وتلقى زمانك الجفاء
والضراء ؛ فشرح التاجر لهم ما جرى له من حال وما فات من
مال وما قطع من المنازل ، وما لقي من النوازل فلم يصدقوه
وأرسل المسكين إلى السجن وقيد بالقيود والأصفاد ووضع التاجر
رأسه على ركبة الحسرة وأسلم جسده إلى محل تحمل المحنة ،
وانحبس في أسجان الأحزان وأيس من الحياة واللذات :

قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبسى وأى مهند لا يغمد؟

وذاث يوم قدم أحد أولئك الغواص إلى الحبس لكى يزور
صديقا ويحتال لخلاصه واستخلاصه طريقا ، فرأى التاجر
محبوسا ومأيوسا ، انتحى ناحية من السجن وأدنى جنبه
إلى أرض الحزن وأجرى من عينيه دموع الشجن ؛ فلما رأى

التاجر الغواص ناداه : يا حبيباً من الأحباب وأخاً للتجارة
والاكتساب أغثنى وأدركنى :

أرهق نفسك إن استطعت وانهض وتعال ما بي من تعب
فقال الغواص : ما سبب حبسك وموجب نحسك ؟
فقص عليه التاجر ما جرى له ؛ فقام الغواص فى الحال إلى رفاقه
وقال لهم قوموا لكى نخلص ذلك الفتى من محبسه ونختص
بإنقاذه وإطلاقه وقد جاء فى الخبر : (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) :
إن فى الأسر صيباً دمه فى الخد صب
هو فى الأسر مقيم وله بالشام قلب

فأتى الغواصون إلى والى المدينة وقالوا : هذا التاجر مظلوم
ومرحوم ومن السعادة والراحة محروم ، وكان من قبل من أصحاب
النعمة وأرباب الثروة يلقون منه الحرمة والدولة ، ولكن شطرنج
مراداته مات شاهه ، وصار طعمة الحوادث ماله ومناله وجاهه ،
وهاتان الجوهرتان حلاله وماله ومناله ، وذاك بائع الجواهر ظالم
وطرار وقاس وغدار ؛ فألقى الوالى بالبائع فى السجن وأطلق
التاجر من الحبس واعتذر له بالأعذار الوجيهة وقال : من يسمع
يخل والحر بالعفو لا يبخل ؛ فلما رضى التاجر أمر الوالى بنقله
إلى الحمام والخلع عليه والإكرام :

لا تجزعن بما يأتيك من نوب فإنها دول لا شك تتقل

وأخذ أمير المدينة يأمر في حق التاجر عنايته الكاملة ورعايته الشاملة ويقول هذا الرجل عاين شعوذة دورة الأيام وشربات حوادث الأعوام ويليق به قربي حضرة كل سلطان ومنادمة أو مخالطة كل ذي سلطان ؛ فأعطاه الخزانة الخاصة وأداة مفتاح الدفائن ، فانتظمت أحوال التاجر وانهضت نوايب حوادثه واحتال وجهه الأصفر أرجوانيا وتحول عهده المظلم نورانيا ، واتفق أن جلس يوما في الخزانة فانهار جزء من الأرضية فنظر التاجر فرأى شق فأر أفسد الجدار فرام أن يصلحه ويقيمه فسقط جزء من الجدار وانفتح على منفذ قصر الحريم ، فلم يكن التاجر ينظر إلى تلك النافذة ، وحدث أن كان الملك جالسا مع إحدى حريمه ، عقد عقد الوصال بصاحبة الجمال ، فوقعت عينا التاجر على حرم الملك ووقع نظر الملك على عين التاجر فاستدعى خادما في الحال وقال انظر من الذي ينظر بنظر الخيانة إلى حرم دولتنا واقتلع في الحال عينيه النرجسيتين ، واسمل عينيه الأثيريتين ؛ فجاء أهل الخيانة أخرى وحد (العينان تزنيان) أجدر ، وفي الحال أوقع الخادم بالتاجر واقتلع باصريته ، وهذا كل ما تراه من آثار حظه العاثر وأنواع طالعه الدابر :

كان الزمان الغادر والحظ العاثر

يربضان ويكمنان له على الدوام

جافاه الزمان حتى إنه

أتلف عينيه المنيرتين

ثم قال بختيار : اعلم أيها الملك العظيم الذى يأتمر بأمره
الملك القديم أنه لا أحد قط يغلب مكر الزمان وخداع الفلك ذى
الشنآن ، ومثال حالى مثال ذاك التاجر الذى نسج الحدثان خلاف
مراده ولعبت الأيام ضد استعداداه ، وشرط كرم الملك هو أن يغفر
لمن أتعبته النوائب وضربته المصائب ، وألا يعجل فى قتل المظالم
فلعل براءة ذمتى تظهر وسراج فراغ خاطرى يزهر ، ولما انتهى
الملك من سماع تلك القصة كانت الشمس قد توسطت السماء
فأمر بتقييد بختيار وإلقائه بالحبس وإيداعه للحرس .

وفى اليوم التالى حين غدت صفحات العالم مزرعة ياسمين
باصطناع النير الأعظم ، وصارت شرفات الأماكن فى البهاء
والضياء مرج الصقر والهيثم ، ووشى شعاع زينة العالم الدنيا
بزهره الأصفر ، وحلّى التمتع نقش الدنيا العالم بورده الأحمر ،
جلس الشاه فى صدر الإيوان بالبلاط وحاك قصة بختيار مع
الوزير الثانى بسم الخياط ، فقال الوزير : أيها الملك ذرنى وهذا
الولد أهلك بأسه بأن أفصل رأسه أو أغرب مشرقه بأن أشنقه ،
حتى يكون للعالمين عبرة وللمفسدين موعظة ؛ فأمر الشاه بشنق
بختيار ، فلما أتى به إليه قال الشاه أيها الغلام اللعين والولد
الفاسد الدين لقد أمرت بشنقك لأن إهلاكك مصلحة ، وإفناءك
محض الحكمة ؛ فأعاد بختيار القول : ألا كانت حياة الملك
رديف السيادة وأليف السعادة حينما وضع الحكماء الأوائل

وأصحاب الفضائل السجون للملوك وضعوها بحكمة كلية لمصلحة
أصلية وكل من سجنوه وراء القضبان سلبوه فوائد الحياة والحيوان
وصلبوه وقتلوه فى الحقيقة أمام الأعيان فلا تعجلن بقتلى فليس
أمامى للهرب مجال ولا مناصر واحتيال ، ولعل ما حدث لبائع
الجواهر قد بلغ سمع الملك الذى استعجل وتعجل حتى أصابه
ما أصابه وعاین من متاعب الزمان ما عاین ، فقال الملك ، احْك
ما جرى له ، وارو ما طرا له ، فأطلق بختيار لسان الفصاحة
والدراية ، وشرع يبدأ الرواية .

الباب الثالث

قصة بائع الجواهر وأنواع مقاساته وألوان بلياته
التي فى الكتب مسطورة وبالدفاتر

مذكورة ومشهورة

قال بختيار : كان عالم بالجواهر ذو نعمة بلا قياس ، أستاذ عصره فى معرفة الجواهر ونادرة دهره فى تقويم اللآلئ الكبار وحلى البحار ، كان يفصل الصحيح منها من الفاسد ، ويميز الرائج من الكاسد ، وكان لهذا الفتى امرأة عفيفة وشريفة أمضت أيامها فى خدر الصلاح وستر الفلاح وتوشت بحلية الجمال وحالة الكمال وقد حملت المرأة من زوجها بائع الجواهر والنفيس ، وبعد مرور شهور توقعت الولادة والنفاس ، واستدعى ملك من ملوك العهد والأوان وصاحب دولة وعلى الأمراء الكبار سلطان بائع الجواهر هذا إلى حضرته لكى يتقى جواهره ويعاين أدراج ذخائره فيفصل منها ما يجدر بالإنفاق ويعين منها ما يليق بالاكتنار ، فقال بائع الجواهر لزوجته : حين يدعونى إليه ملك مكرم وصاحب دولة منعم فيجب اغتنام هذا الاحتشام فهو تقريب سبب سعادتى

وترحيب موجب سيادتي ، فيجب أن ترعى دخلى وأسبابي
وتعتنى بمالى ، ومنالى وإن أتاك ولد سميّ به بحكم الفال والأمل
فى حسن حال (روزية) ، وإن أتتك بنت سميها باسم لائق
وإطلاق موافق ؛ فسفرى هذا سبب الظفر ورحلتى هذى مثمرة
البركة ، وقال النبى عليه السلام (سافروا تصحوا وتغنموا) .

يسافر القمر حين يصير بدرا

فعمد بائع الجواهر الأحمال وربط الزاد والراحلة ، وأخذ يطوى
المنازل والمراحل كالنجم السيار ، ويجوب الممالك والمسالك كالسياح
المسيار حتى وصل إلى حضرة الملك وقبل بلاط هذا الملك .
فلما رآه الملك فى هذه الصناعة ذا ارتفاع وعلى دقائق هذا العمل
ذا اطلاع قربه إلى حضرته ، وظل الرجل يتقى درر الغرر
والجواهر الزواهر ويزجى للشاه الحكايات اللطيفة والأسمار
الظرفية فظهر فى طبع الملك أنس بنفسه المؤدبة وأخلاقه المهدبة
فأمره بصياغة تيجان مرصعه وصناعة أحزمة عجيبة ومصنوعات
غريبة ، فكان يهاديه بالخلع ويوافيه بأجرة عمله زائدة عن أمله .
لكن الرجل مع أن الحظ كان مساعده والجد كان معاضده كان
مشغول القلب بزوجه وولده انشغالا عظيما ، وكان مهموم الخاطر
لأحول أهله هما مقيما :

تركت وصال ليلى منذ حين حذار البين لو نفع الحذار
فليت الود يجمعنى وليلى وأن كانت تفرقنا الديار

ومن اتفاقات الدنيا أن وضعت زوجته ولدين كالجوهرتين من
بطن واحدة ، وكان هذين التوأمين قران السعدين ومظهر النجدين
كلاهما درتان لهما بهاء وجوهرتان لهما ضياء ، غصنان مثيران
وكوكبان زاهران ، وأرسلت الزوجة رسالة وأزجت بشارة بأن
الحق جل جلاله وعم نواله أعطاك ولدين عبهرين جوهرين
كلاهما فى جماله بديع وفى لطف صورته باعتدال الربيع ،
وسميت الأول (روزية) والثانى (بهروز) ، فثارت بالوالد تمنى
لقاء ولديه فلما أتم العام أعد الأسباب للإياب إلى الوطن وطلب
أمر الملك له بالمظعن ، فلم يسمح له الملك ، فشرح له حكاية
زوجته وولده واشتياقه لفلذة كبده ، فقال الملك أرسل رسولا يأتى
بهم ولن يضمن بأى نفقة له ولو كانت أضعافا ؛ ففكر الرجل
وقال : مع أن إحسان الملوك بلا حدود وألطف السلطان بلا عد ،
إلا أن فى خدمة الملوك القاهرين أخطارا ، حكمة : إياكم والملوك
فإنهم يستعظمون رد الجواب فى الخطاب ويستحقرون ضرب
الرقاب فى العتاب :

فى خدمة الملوك أخطار عظيمة

لا يمكنهم الإبقاء على أحد من أجل منفعتهم

ولو صار عقلك سمرا في العالم

فلا تأمن جمرات جنونهم

وفراق الأولاد والأتراب وترك البلاد والأسباب مشكل ،
ولو يصير للغريب شأن عال وهو نفسه على مراداته وملذاته وال ،
لكن بما أن ليس له في حال أحداث العالم مستغاث ، وبما أن
سروره وحبوره مطلق بالثلاث فلا يمكنه ترك حياته ودار أمانه
وأسبابه وعهد إخوانه :

وأول أرض مسّ جلد ترابى

ولا يمكن فصل القلب عن مسقط الرأس ومظهر الرجاء
والبأس ، لما هاجر عمار بن ياسر من مكة إلى المدينة ، فسأله
سيد الكائنات عليه الصلوات والتحيات يستخير حال مكة :
وأرضها : قال عليه السلام : كيف تركت مكة وبطحاءها ؟ فقال :
تركتها وقد اخضرت أشجارها ورق ماؤها وصفا هواؤها ، فقال :
دع القلوب تقر ، قال يا عمار لا تفصل القول في وصف جمال
مكة بأكثر من هذا فقد استقرت نار القلوب الآن :

حبيبى أضرمت النار في الفؤاد

حين وصفت سحرك وبهاك

فأقصر القول إذ أشعلت الفتنة

مع أنه يطيب للنفس سماع نجواك

القصة ، قال : أمكث أياما أخرى لعل الشاه يترحم على عيالى ويتشفق على قلبى وحالى فيطلقنى إلى عيالى وأطفالى ؛ فبقى ستين آخرين فى خدمة الشاه ، وكانت زوجة التاجر تسح فى فراقه قطرات الدمع وتنوح بالدعاء والتضرع والبكاء والتخشع سائر الأوقات :

يا هدهدا قد غاب عنا برهة أورد لنا خبر يقينا من سبا
وكان الرجل من عياله فى خجل ومن جمرة الفراق وحرقة الاشتياق فى وجل ، ومضى على أولاده فى فراقه ثلاث سنوات وأحالوا إليه محنة الفراق والشتات ؛ فأعاد إلى الشاه كتابة قصته وشرح غصته ، فقال الشاه : لا إجازة قطعاً للمراجعة ، ولا رخصه حسماً بالمعاودة ، وعليك بقية عمرك أن تلازم مهمتى وتخدم حضرتى وتجاور ظلال دولتى .

القصة ، بقى التاجر ثلاث سنوات أخرى فى هذا الكر والفر وكان يمضى أوقاته مثل يعقوب فى بيت الأحزان ويبذر بذر الصبر مثل أيوب بجهد مغلوب ؛ فلما انصرمت ثلاث سنوات أخريات على هذه الحادثة وطفح كيل زمان الهجر وزن شراب الودر وصار طير البهجة فى محنة الغربية بلا ريش أو جناح وغدو ورواح . تعلم الولدان الخط والقرآن فكانا يخطان لأبيهما كل أسبوع رسالة تفيض بآلم الفراق كرسائل المحبين والعشاق ، ويقرران فيها لوعات الاشتياق ونزعات الافتراق :

كتبت إليه وجد النوى وقلبي على حبه عاكف
لئن غاب شخصك عن ناظري فذكرك بين الحشا واقف
بارح فؤادي أنسى كله وصبري فإلى متى جور يومي وجفاء دهرى
فبلغ قلب التاجر الحناجر ، فكتب رسالة فيها يا عيالى
الرفقاء الأحباء ومن أنتم فى حوادث الزمان المؤنس والدواء ،
عليكم ترك الضياع والأسباب ، وأن تأخذوا للرحلة إلى
بالأسباب فلا أرى لليل الفراق هذا صباحا ولا ليوم الاحتراق هذا
رواحا وقلبي إلى مقلب الفراق قد ذلَّ وصبرى من مكتب العقل
قد ولى :

سلام على الدنيا وطيب هوائها
ولا خير فى الدنيا بغير حبيب
أيا نوب الأيام بلغ تحياتى
إلى قلب محزون بغير طبيب
عهد الشباب فى يد الزمان باطل ، ومسك الأيام من محنة
الدهر زائل :

لما سئلت عن المشيب أجبتهم قول امرئ فى الصديق فيه مُحقق
طحن الزمان بريبه وصروفه عمرى فصار طحينه فى مفرقى

فأخذت الزوجة ولديها وولت بقلب مستبشر وجهها إلى مهمة السفر ، فلما بلغ من الطريق منتصفه وصلوا إلى ساحل نهر عظيم ماؤه ملح أجاج وعبوره إلى الملاح والسفين محتاج ، وولى النهار وجهه إلى الزوال واتشحت السماء حلة الارتحال ووجه الشعاع أصفر كوجه حبيب (عذرا) (وامق) ونفس الزمان بارد كنفس كل واله وعاشق ، فقالوا : النهار عجيل والليل طويل فنقضى الليلة على ساحل البحر ، ونعبر الماء بالغد فى الفجر ، فلما فتحوا محملهم عن راحلتهم توجه الطفلان إلى النهر فكانا يجريان وسط خضر النهر ويلعبان على مفرش مسكن الطير . كان التاجر قد سمع بخبر قدوم أهله وولده فخرج لاستقبال فلذات كبده وأسرج راحلته صوب الساحل الآخر للنهر ، وقبل أن ينتهى النهار إلى وقت الغروب وأن يرتدى العالم كسوة آل العباس وصار وجه الشمس بلون الذهب وبردت أنفاس الزمان المنهمد ، قدم التاجر إلى شاطئ النهر لكى يجدد طهارة أداء الفرائض ويؤكد قواعد العبادة لاقتباس السعادة ، وكان معه بدرة من التبر فوضعها على حافة النهر ووقف للصلاة ؛ فلما بلغ بالصلاة من التكبير إلى السلام وانتهى بالطاعة من الافتتاح إلى الاختتام توجه فى الحال إلى وكتته وفتح رأس سفرته ، ولم تكد اللقمة الأولى تبلغ أسنانه وكلمة (بسم الله) تغادر لسانه حتى تذكر أنه نسي التقاط بدرة التبر وترك محصول عمره على حافة النهر .

فلما آب إلى الشاطئ ، لم يجد من تراحم نبات الأدغال وتراكم مشغلات البال موضع الطهارة والصلاة ومحل أداء الضراعة والخشاعة فلبث ساعة كاملة على الشاطئ يتمحص ومكث زمانا يسيرا بين الأشجار يتفحص ، ويبحث عن البدرة طويلا فلم يجد منها كثيرا أو قليلا ، ووجد الطفلين يلعبان على حافة مجرى الماء ، ويتناغيان بسبب الأخوة والصفاء ، فأمسك التاجر بالطفلين وقال لهما أخرجا بدرة الذهب تُفرجا عنكما التهديد بالضرب ، فلم يمر من هنا هذا الوقت إنسان قط أو حيوان ، ولما كان الطفلان بريئين من هذه الخيانة عاريين من هذه التهمة فلم يحصل منهما على البدرة بالتهديد والوعيد ، وما وجد ما فقد بالتخويف والتشديد . فلم يرحم التاجر حالهما ولم يصدق كلامهما وألقى من حزنه بهما في الماء ، ولما تأخر (بهروز) و (روزبة) واشتبك البازي الأبيض الشرقي بمخلب الغراب الغربي وامتزج مسك سواد الليل بكافور بياض النهار وانحلت أطنبة الشعاع من شواحق الجبال وانسدلت ضفيرة سواد الليل على أذن الأطلال واحتلك وقت الغروب واقترب وقت صلاة العشاء صرخت الأم وأخذت تصيح على ضوء القمر على حافة النهر : أين أنت يا روزبة ويا بهروز ؟ أقبلا إلى صدر أمكما فقد تأخر الوقت ؛ فتعرف التاجر على صوت زوجته فألقى في الحال بجواده في الماء وعبر النهر وأخذ زوجته في حضنه لأن تعارف الأصل يهدى إلى الوصل والعيش السابق

يؤكد العهد اللاحق . قال الزوج لزوجته هل كنت تنادين روزية وبهروز ؟ أين هما فقلبي مشتاق لوصالهما وعيني تتمنى رؤية جمالهما ؛ فقالت يا بعلى العزيز ذهب الولدان للهو وانتهى النهار إلى نهايته وأبتدا الليل ببدايته ولم يصلا بعد ؛ فقال الأب من ألم الفراق وغاية الاشتياق : إلى أى ناحية ذهبا ؟ فقالت : ذهبا إلى حافة النهر وقالوا نترىض ساعة فى جريان الزلال وجولان الشمال لعل فى ذلك بهجة المحبة وبشاشة الحشاشة ، وما أن سمع التاجر هذه المقالة حتى ضرب يديه ومزق بردتيه ، وقال يا زوجتى صار ولدانا فى غرق ماء الهلاك طعمة جور الأفلاك وفى طوفان الخطر لقمة القضاء والقدر ، خسرت الجلد والسقط وأهدرت الولد فى النهر بالسقط :

عجبت لصبرى بعده وهو ميت
وكنت امرءاً أبكى دما وهو غائب
على أنها الأيام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب
وجداً الليل بطوله فى البحث عن الولدين لعلهما يجدان أثرا
من حياتيهما أو خبرا عن مماتهما وكلما زادا بحثاً قلا أملاً وبقي
الوالدان بقلب مشوية وعين ندية على حافة النهر زرعاً شوك الحسرة
فى قلوبهما ومزعا رداء المأتم بيدهما ، وكانا يكيان بهذا البيت :

بأى طالع ولدت يا ربي حتى إن الزمان
حيثما وجد ألما رماني عليه .

بقى الوالدان متحيرين لكن اللطف الإلهي بفضله غير المتناهي
كان أدرك هذين الطفلين من الغرق وألقى الماء بكل منهما على
طرف ، وجعلت رعاية الربوبية مكانهما هودج الشرف ، فدفعت
عنهما الموت والتلف ، فسقط كل واحد منهما على موضع
على ساحل النهر مدهوشا بهذه الواقعة النازلة وهذه الصاعقة
الهائلة .

واتفاقا كان أحد الملوك قادما إلى هذا الطرف من النهر
للصيد والتتزه لكي يتتزه على حافة الماء ويتفرج على أجواف
الآجام ويتريض على حواف الآكام فصادف فجأة طفلاً
منهوكاً متروكاً وفي جمرات النوائب محروقاً وبشرارات
المصائب مسلوفاً ، أذبلت آثار الحزن روض حسنه وأطفأت
عواصف الترح مصباح أفراحه ، قال الشاه من أنت ومن
أين قدمت ؟ فحكى الصبي له عن قصته ؛ فأدار الشاه من
غاية الشفقة ونهاية الرأفة الدمع في عينيه وسأله ما اسمك ؛
فقال رُوْزِيَّةَ ، فقال الشاه : تفاءلت باسمك وقبلتك لي
ولدا فأسعد قلبا فسوف تكون السعادة مقارنتك والسيادة
مصاحبتك .

وكان الأخ الآخر قد سقط على الطرف الآخر وشاء الله أنه وقع بأسر جماعة من العيارين والسراقين فقالوا نبيع هذا الطفل عبدا ونحصل على مبلغا له ثمنا ، ونسكر ونعربد به زمنا ، ولا يدري أسرار الإرادات الإلهية أى مخلوق ولا خفيات المشيئات الربانية أى موجود ، لما ذهل التاجر من حوادث الدهر العجيب وغفل من صدمات العصر الغريب قال لامرأته : ليس لنا بعد اليوم فى حياتنا هناء ولا فى عمرنا رضاء وليس لجروحنا التام وشتاتنا انتظام فهل مى نهيم فى هذا العالم المملوء بالغم وهذه الدنيا الفائضة بالمأثم على وجوهنا ، ونرى ما بقى بالزمان من وقائع ونشرب من يد ساقى الحدثان من المناعم والفظائع :

الحمد لله الذى لا يحمى على بلاء سواه

فسار التاجر وزوجته فى البلدان دائرين حائرين حتى وصلا يوما بلدا وكان معهما مال ومنال وثروة ونعمة ، وكان التاجر يمر بسوق النخاسة فى يوم فرأى عبدا يباع بصورة مناسبة وهياة متقاربة فتمعن فيه بنظر الفراسة وقال لنفسه : هل هذا الطفل فى الأصل حر أم عبد ؟ وأحس بميل إليه فقال أشتري هذا الغلام ، واتخذه ولدا وأقضى يومى فى محبته وأمضى همى فى مودته ، ودفع ثمن الطفل واتجه إلى المنزل ، وقال لزوجته :

(اشتريت عبدا) وما أن وقعت عينا الأم على وجه الغلام حتى صرخت وغابت عن الوعي : (اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله)

لا أقنط حتى ولو ذهب الأمل ولا يخلد أحد في الزمان حزينا

فسأل التاجر زوجته ماذا ألم بك ؟ قالت هذا ولدك وفلذة كبذك وهذا الابن ابنك ، ولم يكن التاجر قد رأى ولده ، فلما أعاد إلى ولده النظر أحس بالشفقة الفطرية والرافة الأصلية في قلبه فاستغرق في محبته واحترق بمودته ، وبدت قوة في جنانة ومكنه في جثمانه ، تصحح قلبه الكسير بمرهم الوصل وتروح روحه الحسير بتعارف الأصل ، فقال لزوجته : بما أنا لقينا ولدا لنا فالصلاح أن نسير ثانية إلى بلاط الملك ونقضى عمرنا في ظل رعايته ونمضى عهدنا طيرا في فضاء عنايته ، مثل : جاور ملكا أو بحرا .

فلما وصلا إلى دار الملك شرح له هموم الزمان وغموم الحداث ، فحزن الملك عليه وزاد في رواتب إنعامه ومراتب إكرامه . وعلم التاجر ابنه بهروز صنعة معرفه الجواهر ودقائق تلك الحرفة وماهى الجواهر المعدنية وكيف هى الآلى والدرر البحرية وأفضى إليه بخيرها وشرها ونفعها وضرها وماهو الألف من اللعل البدخشانى والأشرف من الياقوت الرمانى ، ومن أين يتبع الزمرد الأخضر ، وما ثمن مثقال الزبرجد الأصفر ، ولم لا تطيق الأفعى

رؤية الزمرد، ولماذا يتغير لون الفيروز بمرور الأيام ودورة الأعوام، ومن أى برودة وأى حرارة ينشأ بياض البللور وسواد الشبة ، ولأى أمر يليق عقيق اليمن، وبأى خاصية وقوة يجذب الكهرمان القش ، وما الوشيحة والآصرة بين المغناطيس والحديد حتى يجتذبه إليه ومن أى مادة ركب المينا فى عهد (جشميد) وبأى وقت تنعقد اللآلى فى أجواف أصداف البحرين ، ولماذا يكون بعض الدرر طويلا والآخر مستديرا . حدث ابنه بكل دقيقة فى علم الجواهر من المعدنيات والبحريات ، وصور كل منها بالمعاينة والمراى فى مرآة حدفته حتى ظهر فى أقل الزمان لدى بهروز مهارة وبصارة وصار أستاذ عصره ونادرة دهره ، ولما مضت سنوات عديدة أصبح أبوه يعتمد تماماً على لطف بصيرته وحسن سيرته فأودع إليه ما عنده من جواهر وأرسله للتجارة وقال له : فى أثناء سفرك إلى كل بلد تمر عليه عليك البحث عن أخيك بكل ما لديك من جَدّ وجهد وألا تياس من لطف الحق (ولا تياسوا من روح الله إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون) .

وأعدّ بهروز أسباب السفر وقال : إن الملوك والسلاطين هم الذين يشترون الجواهر فقام واتجه إلى حضرة ملك كان صيت عدله فى الدنيا مشهورا ومحامدا ملكه فى الأفواه مذكورا ، وكان الملك الذى التقط أخاه من حافة النهر قد رحل من دار الفناء إلى جوار البقاء ، وانتقل من جور تعب الخلائق إلى جوار رحمة

الخالق ، وجعل روزبة ولى عهد ملكه وسلطته وخليفة ولايته ومملكته ، ولما لم يكن لهذا الملك ابن نسبي قبل الحشم روزبة ملكا وهو ابنه النسبي ، وعقدوا خواصرهم بحزام امتثال خدمته وبمنطقة انقياد إشارته ، ولما وصل بهروز إلى حضرة الملك وعرض عليه الجواهر ، ولم يتعرف أحد الأخين على الآخر لطول عهد الافتراق فقد محا طول المدة وكثرة الغيبة نقش الخيال من لوح المخيلة :

لما صهرتني محسن الأيام ما عاد يعرفني حبيبي الهمام

مثل : طول العهد منسى ، وسمى الإنسان إنسانا لأنه ناس ، فأمر الملك بإنزاله نزل الكرامة وأرسله لزيادة الفخامة إلى دار خازنه ، ولما عرض عليه سائر ما معه من الجواهر أعجب بها واشتراها منه بسعر كبير ، وكانت هذه التجارة لبهروز تجارة مربحة وتلك السفرة إليه سفرة منجحة ، وأرسل الشاه إلى بهروز بوجوب الإقامة في هذه الدولة حتى يترادف إنعامه في حقه ويتضاعف إكرامه في شخصه ، وقال الحكماء (في الثبات نبات) فقال بهروز : يا ملك البلدان وشاه الزمان والمكان إذا لم يكن بي الهم على أمي وأبي لمكثت في خدمتك لكن لى والدين شيخين وضعيفين ومتألمين ونحيفين ، عجز أبى بسبب جفاء الأيام وتعاقب النور والظلام وصارت أمي من جملة العجائز فرعاية حقهما فرض عين ، وقال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه

وبالوالدين إحسانا) فعين الشاه مركبين وجُمَاَزين، وقال اكتب لهما رسالة ليقدما إلى هذا الجانب فيستريحا فى مراتع الدولة ومعاهد هذه الحضرة .

ولُوسل بهروز قاصدا رسالة قرر فيها لطائف مكرمات الشاه وعوارف كرامات هذا الأمر الناهى وحرر فيها إشارة هذه الحضرة ، وقال : إذن عليكما بالقيام والإقدام إلى هذه الحضرة ؛ فهذا الشاه كثير الإكرام وإنعامه على المقام :

قرم جواد صدره واسع وكفه معروفها دائم
يا عجبا من جوده وكيف لا يرزق فى الضيف حاتم
وبما أن ملك العالم لا يعدم الشقاق ولقمة الدنيا لا يعوزها
المشاق ظهر للملك خصم فأعد الأسباب للحرب وجمع من
الرجال المبارزين والشجعان المبرزين وكانوا فى خدمة الملك وهبوا
ما لأبد منه من أدوات الطعن والضرب والكر و الفر وقالوا : دم
الأعداء شرابنا وكبد الخصوم كبابنا :

السيف والخنجر ريحاننا أف على النرجس والآس
شرابنا من دم أعدائنا وكأسنا جمجمة الراس
لا أحب للأذن من قرع طبول الحرب ولا أعجب للسيف من
لون دم العدو ، ولما دق الخيل والحشم الطبل والعلم بالصحراء
فلم يغادر الملك إلى خصمه بجسمه لأنه لا يساوى حركة ركابه

ومشافهة عتابه فأرسل جيشه للمحاربة وعقد مع ندمائه الخواصر
فى مصاف المشاربة :

هموم الدهر تفتت الفؤاد ولا يزول همه إلا بالمدام
وكان بهروز يشرب فى خدمة الشاه وكانت رياحين السرور
فى خضرة وبساتين الحبور فى نضرة وعندليب السعادة فى إنشاد
وحرفاء اللذاذة فى اجتهد وجاشت القلوب بالعشق وصاحت
أنواع المغانى لتحريك الشعور الإنسانى ، وكان شمع النشاط يمتد
ومطرب الانبساط ينشد :

نهار أو رزق وكل السرفيه وشرار أو عشق وكل الأسرفيه
وحدث أن الشاه وبهروز كانا يشربان ليلة وكانت أسباب
اللهو مجتمعة وأصوات الملاحى وألحانها مرتفعة ولما أثر الشراب
فى الشاه أسند رأسه على مسند السعادة وأريكة السيادة حتى
تهدا لحظة نظار الخواصر فى مهد الاستئناس ويهنا ساعة
متحركو الطبيعة على فراش الخلوة (النوم راحة وكثرة السهر
جراحة) .

فلما أراح الشاه رأسه على مسنده قال بهروز من فرط الثمالة :
الليلة الحراس الخواصر ليسوا حاضرين والنقباء المتيقظون ليسوا
ناظرين والصلاح أن أظل ساهرا بدل الحراس والرقباء والنقباء
حتى النهار فأمسك سيفاً وجلس على رأس سرير الملك :

يقنن كالكوكب وسهران كالنجوم
وأدفع الليلة بالسيف البتار النائبات
كالشمس فى الأفلاك بحكم الله العادل
أطلع وأندفع من قلب كل نبسات

ولما حل وقت الصباح الصادق حين طلعت طلائع الشمس
إلى صحراء المشرق وصل حراس الملك المظفر بيشرى الفتح المؤزر ،
فلما بلغوا الإيوان الخاص وميدان الخواص رأوا الملك نائما وبهروز
بسيفه المجوهر على سريره جالسا ، فصرخوا فيه فى الحال وجعل
هذا الحال مقدمة لتسييب وتعبئة لتضريب ، فلما استيقظ الملك
باقتراب تلك الطائفة وانتبه بإياب تلك الزمرة قبلوا فى الحال أرض
طاعة ورفعوا إليه بشرى هزيمة طلائع الخصم وقالوا : يلتمس
أمراء الحشم وأمناء الخدم أن تبختر المظلة الملكية وتتكسر المواكب
العالية فمهما لمعت السيارات فلا محيص من قمر السماوات
ومهما ثبت الأعيان والأركان فى الحرب والطعان فلا فوت من
حضور هبة السلطان :

فما نهضت لأمر عز مطلبه إلا انتثيت وفى أظفارك الظفر
إذا طلعت فلا شمس ولا قمر وإن سمحت فلا بحر ولا مطر
ثم أشاروا إلى بهروز وقالوا حل الأوان لكى يأمر الملك
بصلب قلبه غير المهذب وسلب روحه العديم الفتوح فقد سمعنا
منه البارحة مقالة سامجة وشاهدنا منه بالأمس حركة خارجة ،

فاستكشف الشاه من بهروز تلك الحال ، واستفسر منه عن تلك الأعمال فقال بهروز : قد بان للشاه بقرائن الأعمال ضفاء عقيدتي وخلوص محبتي واستبان في أنواع الحركات والسكنات كمال عبوديتي وحسن خدمتي . والبارحة لما غاب الحراس والحفاظ صدرت مني هذه الحركة بدافع طاعتي وظهرت مني تلك الخدمة من غاية محبتي ولم أدر أن الحساد سوف يجعلون منها مادة الفساد ، وأن القصاص سوف يحيلون منها لي سبب الكساد ، والتماسي أنا العبد من كرم الشاه أن يعمل بفتوى القرآن الكريم لا بقول كل حاسد لئيم (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ولو هاجم الأجل الأمل وكدرت الأحداث صفو الزمان فلن تفيد حيلة ولن تنفع وسيلة :

أنا المصيب وحاسدي الملعون يتعبني

وإن أردت بكأس كالهاسي

لو كان للناس ضيق في محاسبي

فالموت قد وسع الدنيا على الناس

فأمر الملك بإلقاء بهروز في السجن ثم توجه إلى مصاف الأعداء وصف الهيجاء فأرسل رايات الظفر وعلامة الكر والفر إلى الصحراء ونصبوا مظلة الظفر وقدم إلى الميدان بالشجعان، وكان أسود العرين في جولان واشتعلت نار الهيجاء والقتال، وانتظمت

صفوف الرجال وتلاحم الأبطال وتمازج المغاوير الرجال ، وكان
لسان الكر والفر يهتف بخطبة الظفر باسم الملك الأثير ونسيم
النصرة يهب بنفحات الكسرة إلى قمر الأثير . ، ولما أحال آساد
المعركة بالسيوف النيلوفرى أرض المصاف إلى مزرعة شقائق زاهرة
وصارت طرة الطرادات فى إظهار الحق شقائق ناضرة ، وغدت
طيات العلم على عارض البيرق كالضفيرة الضافرة تصاعد صوت
النصرة (نصر من الله) من جامع الأولياء وحلت هبة (فهزموهم
ياذن الله) على حوالى جمع الأعداء ، فحول الملك عنان مركبه
ليؤوب إلى دار ملكه ، وفى تلك اللحظة التى وصل فيها إلى
المدينة وصلها والدا بهروز فلما سمعا ما جرى من حال وحدث
من قيل وقال أرادا أن يسيرا إلى البلاط بتظلم فلم يستسهل لهما
هذا فقصدا أن يرسلأ هدية إلى الملك المعلم فلم يتحصل لهما
هذا ، فحررا قصة من غصة الزمان وقررا حكاية من شكاية الفلك
الخوان :

يعبر قلبى عن كرى فى كل لحظة ويقرر همّ الزمان فى كل آن
كتبا إليه : أيها الملك السعيد والسلطان ذو السلطان المديد
اعلم أن لكل ربيع خريف أشجان، ولكل كنعان بيت أحزان، ونحن
أناس ذقنا من يد النوائب شربات وتحملنا من رفسات المصائب
ضربات . كان لدينا ابنان عزيزان منيران ككوكبين نورانيين
ومبهجان كالسعدين السماويين هما راحة الفؤاد وحرقة الأكباد

روزية وبهروز ، ومن الاتفاقات العجيبة وحوادث الأيام الغريبة أن
سقطا في الماء فوسما بمائه ألف ألم واحترق قلب والديهما من
جفاء الفراق ، وأعاد اللطف الإلهي بهروز إلينا وهو بوصاله
مرهم آلام فراق روزية لنا ، جماله شفاء لمأتم فراق ذاك الغائب
فبعث به الشاه إلى السَّجْن ؛ فبعث في قلوبنا الألم والحرقة والشَّجْن :

ارحم على نفس له واحد قد غاب عنه ذلك الواحد

فلما وصلت قصتهما إلى الشاه وأدرك أن هذا النسيم يهب
من مهب ائتلاف قريب ، وأن هذه الشعلة تنير من مطلع نور ثقيب
قال في نفسه : هذا أشبه بأبي وأمي ، فاستدعى الاثنين وكانا
يقصان عليه ما جرى لهما من أحوال وينظمان درارى المدامع في
الماس الحزن فقال الشاه : أيها الشيخ إنك أبى ، وأيتها الشيخة
أنت أمى ، ومن بالسجن هو أخى ، وأنا روزية الذى ضعت وهو
ابنكما الذى غرق ، فلما رأت الأم وجه ولدها ذهلت من غاية
الشوق لابنها ومن فرط ما بها من العشق غابت عن نفسها ،
وأطلق سراح بهروز فى الحال وحمل على الفرس الملكى إلى
الملك فتبدل الفراق إلى وصال وتحول الهجران إلى الموافقة
والاتصال :

بعد هموم الأيام التى كانت تضنى الفؤاد

تحقق للنفس فى النهاية ما كانت ترومه من السداد

قال بختيار : يعلم الملك لو أن روزية تعجل فى قتل بهروز

ووصل والداه وانعدم بينهم أثر الفراق وانهدم أساس الهجران
لحصل إلى قلبه كثير من الحسرة والكسرة ؛ فلا تعجلن بقتلى
فقدمى فى حلقة قيد قهرك وقالبى فى حبس عدلك وأمرك ،
وسوف يصير معلوما يوما لرأيكم العالى الذى هو مهبط الإلهام
العينى ومظهر النور القدسى بيديها الحال واقتضاء الارتجال أننى
من تهمة الرجال برىء ، وأنى من دنس الخيال المحال نقى ؛ فلما
سمع الملك هذه الحكاية اللطيفة والكلمات الظريفة سكنت نار قلبه
وركنت عواصف قهره وأمر بإيداع بختيار السجن :

فإن قيدت رجلى فلست بجازع فإن خلاخيل الرجال قيودها
وتوجه الملك إلى الوزير قائلا : إن أقتل هذا الصبى أخش أن
تكون العاقبة الندامة وإن أبقى عليه يكن ذاك سبب تواتر الملامة .

وفى اليوم التالى حين نصبت أعلام الشعاع الزنجفرى الأحمر
على شرفات أركان المكان واغتصبت ولاية النهار بيد جيش الروم
من يدى الأحباش الفحوم ، لمع جبين الشمس المنيرة من قبة
الفلك المستديرة وطلع جرم النير الأعظم من الفلك الأفخم ، أتى
الوزير الثالث إلى بلاط الملك وقال له : أدام الله الملك ، إن
العقاب مسمار لا يمكن لطناب سراق الملك إلا أن ينعقد به ، وإن
إقامة الحدود سلك لا يمكن لجواهر المفاخر إلا أن تتظم فيه ، إن أمر
الملك بالتأخير فى قتل هذا الطفل الشرير أو بالتقصير فى مجازاة

خيانة هذا الغرير فلانى أخشى أن تحل قواعد الهيبة أو أن تزل
رسوم الرهبة كما قيل :

العقاب سحاب يجدد وجه الملك
فى كل حال بأجد من ورق الورد
وسفك الدماء للأعداء فى طبع الملوك
له تأثير ألف مبهج وكاس خمر كالورد

وغرس العقاب لابد له من زرع ، وهذا الولد الخائن لا محيص
له من قلع فهو ذئب فى صورة خروف وغريب فى شكل مألوف ؛
فأمر الملك بنصب مشنقة الغدار والإتيان العاجل لبختيار ؛ فلما
وقع عينه عليه قال أيها الغرير المكير ، أمرنا بشنقك لكى يعتبر
الناس بقتلك ؛ فأطلق بختيار فى الحال لسانه وقال : الصبر حيلة
الرجال والعفو من خصال الكمال ، والصبر بكل الناس حرى
وبالملوك أخرى ، والعفو يجمل من كافة الأناسى وهو من الملوك
أولى ، وإذا لم يغرس فى هذه اللحظة الملك غصنا فى روضة
العفو فلانى أطمع ألا يحرق بيد الصبر بجمرات القهر ؛ فكل من
تجرع فى الحوادث صبر الصبر تدرع يوما بدرع الظفر ، وفى هذا
المعنى حكاية ورواية وفيهما مواعظ ومعانى ودراية ، فقال الملك :
احكها أسمعها وأع حكمتها وأجمعها ، شعر :

صفحننا من بنى ذهل وقلنا القوام إخوان

عسى الأيام أن ترجعن قوما كالذى كانوا

الباب الرابع

**قصة أبى صابر وعاقبة أمره فى تنظيم الأحوال
وترتيب الأعمال وما حدث فى تملكه الممالك .**

قال بختيار : أدام الله الملك ، حكى ناقلو الأخبار ورواة الآثار أنه كان فى الزمن القديم رجل صابر اسمه أبو صابر ؛ لأنه جعل الصبر والمداواة والسكون والمواساة حليته ونسج الامثال لأوامر العقل والانقياد لأسباب العدل كسوته ، كان قد رأى باقتداره العقلى ونوره النفسى عاقبة الصبر الجميل وشاهد ببصر بصيرته وصفاء سريره حسن خاتمته ، وأيقن أن ثواب الصابرين أكبر من حصر الأوهام : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وتحقق من أن سعادة متابعى العلم ومشايعى الحلم أعلى من حرز الأفهام : (والذين أوتوا العلم درجات) :

وعاقبة الصبر الجميل جميلة وأفضل أخلاق الرجال التفضل

كان يجعل من الصبر لحوادث الزمان سترا ويصنع من الحلم لنوائب الحداث خدرا ، إلا أن أسدا ضاريا ظهر ذات يوم على أطراف المدينة حتى كان يتزلزل من هيبتة قلب الحجر ، ويرتعش

من مخافته أعضاء النمر والبير ، كان أسدا يثير الثورات ويؤدى إلى الممات قوامه حجر قديد وجسمه من الحديد ، كان يجفل الرعد من زثيره ويبرق البرق من مخالفه ، كان يبطش بدواب الخلق ويمزق أغنامهم وأنعامهم .

فلما رأى أهل النواحي لطمات قهره ونقمات مكره وقد اتخذ من غياض الغيظ مأوى ومن غدير الغدر منهلا ، قالوا : من يطيق مقاومة هذا الليث الكاسر وحده سيفه الباتر ؟ فأتوا إلى أبى صابر وقالوا : رأيت من وقائع الزمان كثيرا وسمعت من بدائع الحدثان ثرا ثريرا ، وأتيناك نستشيرك فقد تجاوز شر هذا الأسد الحد ، وفاق ضرر هذا الضارى العد ، والمصلحة أن تكون لنا مساعدا ومساندا لكى نحشر من كل قرية حشرا ونطلب من كل واحد أزرا فلعل هذا الأسد يمل ويتعب وينجو من شره الشعب ، فقال أبو صابر : اعلموا أن جندله الأسود هو عمل الملوك لا حرفة المملوك ، لا يتأتى لأى طفل مقابلة أسد العرين ، ولا يولد فى كل عصر (رستم بن زال) أو (اسفنديار) المتين ، واليد التى اعتادت القيد تأنف لمس الكأس والكف الذى يليق بالخضاب لا يجدر بالحراب والضراب ، و لو تأتى من الشعب مقابلة الضرغام واستعمال الحسام ما أعطى خزانة الملك جزية أو خراجا ولما أخرج أمام ضرائبه إخراجا ، ولو أن كل ساق نبات رمح خطى ما تعلم الأطفال أبجد وحطى ، فاذهبوا واهتموا و حسب بزرعكم وضرعكم ؛ لأن وضع

الروح موضع الخطر وإلقاء الدم إلى الهدر هو عمل الأبطال لا
شغل الأطفال :

لا تطلبين من أى غشاء نشر زهر أمرك

* ولا ترومنّ من أى هاب داب الضراب والحرا

ولا تركزن لمضاء أمرك إلى كل كاهل

ولا تهملن تفريقا بين المحراث والعصا والجرب

لا يجب إن صرتم إلى قتال هذا الأسد أن يهلك أحد بضرب
مخلب له ، والآن أيضا يقوم شحنة تقدير الأحداث بالتدبير
ويقدم زمان تعبیر الأضغاث بالتفسير ، وكل من وهب فى أمره
صبرا ورِيثًا صار فى همه وشأنه رأسا وليثا ؛ فلما سمع الناس
نصحه وانقضت بعض أيام قدم ملك تلك الولاية يقصد الاصطياد
والتفرج على النجاد فى تلك البلاد ، فلما بلغه نبأ هذا الأسد
استدعى المبارزين إلى ميدان الوغى ذاك واستجلب المصارعين إلى
مرج الهلاك حتى يهلكوا هذا الضرغام بحيلهم الماكرة وجهودهم
المثابرة ويطهروا الفضاء والخلاء من بسلاته ، فقال أبو صابر :
أرايتم أن بالصبر ظهر مثل هذا الارتياح ويترك التعجيل تنور مثل
هذا المصباح ، وقد قال النبى عليه السلام : الصبر زين وقليل فاعله ،
ولما انقضت عدة أيام أتى هذه القرية عامل من العمال من أجل
تحصيل المال ، وكان ظالما فكان يفرض كثيرا من الغرائم واللوازم

ولا يتلطف على ضعف الرعايا ولا يخفف على مستحق قط نقيرا
أو قطميرا ؛ فقتلته جماعة من عياري القرية وفروا هاربين واتهم
بقتله جماعة بريئة فأتوا إلى أبي صابر وقالوا له : هلم معنا إلى
السلطان ونبرئ ساحتنا من هذا البهتان لعله يرحم اضطرارنا
وافتقارنا ويشفق على فقرنا وفاقتنا وضعف ناقتنا ؛ فقال أبو صابر :
اذهبوا إن شئتم إلى الملك لكنني سوف أصبر حتى يماط اللثام
ويظهر ما تتمخض عنه الأيام ؛ فلما بلغ الملك نبأ قتل عامله
أرسل جيشا حتى يقلب القرية رأسا على عقب ويهدر دم أهلها
بلا أدنى نصب ، وتهرب المجرمون وتصلب البريثون ؛ فعاد
الناس الإتيان إلى أبي صابر وقالوا له : قم الآن نذهب إلى
حضرة السلطان ونقص له ما جرى على الحقيقة دقيقة بدقيقة ،
فلعل ذهابنا يكون في حالنا دواء لهذا المرض أو يكون في قابلنا
أمانا لهذا العَرَض فدمائنا في هدر وأرواحنا في خطر ؛ فقال
أبو صابر : علمتم أنتم أن ليس لي خلا الصبر دواء وعلاج وليس
لي عدا التآني طريقة وانتهاج ؛ فقالوا من صبرك خربت البلاد
واحترقت الأكباد والملوك رعاة الرعية وحماة ضعف البرية .
لنذهب ونقل له : لن يشب طفل عن الطُّوق بلا رعاية أمه
الشفوق ، ومالم تدع البذر في الطينة الطيبة للتراب الأسمر فلن
ينبت النبات المثمر والشجر المزهري ، مثل (من سعى رعى ومن
داوم المنام رأى الأحلام) ؛ فقال أبو صابر : اصبروا ولا تجزعوا
فلن تضاروا بمذاق الصبر ونحن به سائرون إلى ظل نخل رطبة

جنب وجوار نحل عسله هنى ؛ فذهبت تلك الجماعة بلاط الشاه
وشرحوا له ما جرى لهم من قتل وإغارة وبينوا له ما وقع لهم من
مبالغة فى سفك الدماء وهتك أستار الحرائر والإماء ، فغضب
الشاه وقال ولم لم تأتوا فى أول الحال حتى أعفو عنكم وأنصو
ثوب القتل والإغارة ؟ فقالوا : لنا فى القرية مُقدّم نستشير فى
الحادثات ونستنيره فى المهمات وقلنا له : هلم نرفع ما جرى من
شأن إلى حضرة السلطان ونسعى إلى دفع هذه النازلة قبل أن تنزل
فقال : أثرت الصبر وأصررت على التريص فلم نستطع القدوم
بلا إجازته حتى اتسع الخرق على الراقع وانغرس السكين فى
الكارع . مثل : بلغ السيل الزبى وتجاوز الماء الربى ، فلما صار
عيالنا وأطفالنا طعمة البلاء وغدا مالنا ومنالنا لقمة العناء رأينا
عدل الملك حصنا حصينا وعفو الملك حبلا متينا ، هربنا
كالمحرمين فى حرم أمانه وتعلقنا كالمجرمين بأستار عفوه ، فأكرم
الملك تلك الجماعة وأمر فأعطوا من خزائنه لزراعتهم وعمارتهم
معونة وألا يفرض عليهم تلك السنة للتخفيف والتلطيف مؤونة
وبإخراج ذاك التاجر الذى يدعى الجلد والصبر ويقترع القدر
والجبر من تلك القرية وأن يقولوا له : داوم على الصبر حتى
تحصل لك أسباب السعادة وتتصل لك أمداد السيادة :

الآن وقد انتكس رأسك من جور زمنك

فأذب فى الصبر روحك وكبدك

فطرد نواب الملك أبا صابر وولديه وزوجه بإهانة تامة من
القرية فتجرع أبو صابر شربة الاصطبار وتدرع بكسوة الاعتبار
وولى وجهه من وطنه إلى الهجرة وخطا بقدمه من مسكنه إلى
الغربة ، طفلاه وعباله فى حيز الاضطراب وأبو صابر فى مضيق
الاصطبار ، انحدر دمع حسرتة من مقلتيه ، وانفطر قلبه من فرط
ألمه ؛ فلما ساروا بضعة أيام فى القفار واجهتهم جماعة من
اللصوص والعُيَّار فلما لم يجدوا معهم مالا قالوا نأخذ هذين
الطفلين منهما ونبيعهما ، فأخذوا الولدين من والديهما بزجر
أفجع ووسموا قلوبهما بهجر أقطع وأخذت الأم تبكى وتتوجع
باسترقاق نور عينيها وتتفجع بإهراق دموع الحسرة من غاية تعניה :

أنا الذى بغيرك وأنت بغيرى نمضى فى الهجر أياما وأياما

لا يخلو عصر من يوسف ويعقوب ولا يصفو من ألم أيوب
لكن قصة العاشقين تمل الفارغين وحديث المحين تكل الكاسلين .
كان الوالدان فى جزع من فراق ولديهما وكانت جرارة الهجران
تنزل بنقطة قلوبهما لدغ الأحزان ، وكان ألفهما الطبيعى وعشقهما
الفطرى يرسل بخار الحزن من معدن باطنهما إلى شبكات
حدقتهما ، فكانت عيون ماء الحسرة تظهر على وجهيهما
ونخديهما بتحريك حرقتهما من منبع عينيهما :

من له معاناة بهذا الكبد له لباداة من هذا اللبد

قال أبو صابر لزوجه : تصبرى فإن مع العسر يسرا ، اجعلى
حال يعقوب مع يوسف مرآة قلبك لعل النسيم يوما يبلغ ريح

قميص الغائبين إلى مشام المهجورين أو أن الصبا ترد سحرًا بخبر
الوصل إلى بيت الأحزان :

لا أقنط حتى ولو انعدم الأمل

ولا يبقى أحد خالدا في هم الزمان

وفي آخر الأمر حين خرج أبو صابر وعياله من تلك الصحراء
الفائضة بالسراب والمهمه الخالية من العباب كان كبدهما احترق
بنار السموم وقلبهما اكتوى بألم الهموم وبلغت القلوب منهما من
الهجر الحناجر وصار يومهما ليلا من الألم الأسر ، وكان حاصل
أيامهما الأهات المرة وخلاصة عمرهما العزيز الأنفاس الحرة
فوصلا قرية ، فأجلس أبو صابر زوجته بظاهرها وقال : لعلنا
نصيب ما يسد الرمق أو نحصل على بعض الطعام والإدام والمرق ،
أو نقتل مشقة الجوع والفرق ، ولما دخل أبو صابر القرية صادف
زوجته جندي سكير فرأى المرأة جالسة في الصحراء وحيدة لا داع
ولا مجيب ولا حميم ولا قريب فأراد الاعتداء عليها ، فقالت له
خلّ عني فأنا امرأة غريبة ومتأللة قلبتي محنة زمانى رأسا على
عقب وعاملتني نوائب حدثانى بأشدّ من المضطر والمضطرب ذهب
زوجى لمهمة في هذه القرية فإن شاهد هذا الحال واطلع على تلك
الأفعال فلسوف يعجل إلى السلطان ويعرض حياتك إلى الخسران .
فلما سمع الجندي كلمات المرأة سارع بامتناع حسامه من غمده ،
وقال : تعالى معي وإلا فصلت بسيفي عنقك ، فارثنى لنفسك

ففى هذه اللحظة سوف يكون جسدك كالحبة بين شقى ربحى
أجلك وروحك الذليل فى صحراء قطع أملك ؛ فلما عجزت
المرأة حيلة أمام الجندى خطت بأصبعها ما حدث لها على الرمال :
أسرت غوغاء النواذب ولدىّ وشردت حملات المصائب أمهما :

ألا ليت شعبرى منى نلتقى

ومن نوبة الهجر كم قد بقى

إذا لم يكن فى أجلى أدنى تقدير

ففى النهاية أقوم لوصلك بأقل تدبير

فاستأسر الجندى تلك المسكينة باستهانة فضعف صروف الزمن
وصنوف المحن وأسعف واقعة الكسرة بصاعقة الحسرة ، ولما عاد
أبو صابر إلى حيث ترك زوجته لم يجدها فقراً مكتوب عياله على
صفحات الطلل ورماله قالت :

وقع الجرح على الفرخ أى ابتلاءات هذى مترادفة وأى جفاءات
هذى متضاعفة ، ومع هذا كله فحيلتى صبرى على كل عسرى :

الصبر علاج المرء إذا ضاقت نوائبه

ولا يُقْتَصُّ من الباغين الجانفين بغير الصبر

وفى النهاية توجه إلى جانب المصر بقلب يفيض بمحنة الدهر
بلا رفيق أو مؤأس أو أصبحت أو مؤأس ، وحدث أن كان بهذه
المدينة أمير ظالم كان يبنى له قصراً وأسس بميدان قصره وإيوانه ،

وكان كل غريب يدخل المدينة يوقعونه فى أسرهم ويحملونه إلى بناء قصرهم فلما دخل أبو صابر المدينة بحال مشوش وقلب مهوش علق غبار الغربة وآثار الكربة بوجهه المبتلى أسروه فى الحال واستاقوه للبناء فكان يمضى نهاره إلى مسائه فى العمل ويعطونه بآخر النهار رغيّفين ليأكلهما ، وذات يوم سقط رجل من هؤلاء الغرباء المظلومين والأسراء المحرومين وكان يضرب اللبن والطين من فوق السلم فتوجه إلى السماء وناح ، فالسماء قبله الدعاء وقال : يا مستغاث العاجزين ومعين المساكين ويا مغيث كل مظلوم ومنقذ كل محروم افرجها بفرجك ، فقال أبو صابر : لا تكثر أيها الفتى من النواح فلا يليق بالفتى النواح اصبر فحين يدلهم الليل الديجور أيقن بأن طلوع الصبح أوشك على الظهور ؛ فوصل تضرع ذاك المظلوم إلى سمع ذاك الملك الظالم فأمر بأن يخلّى سبيل من سقط من السلم ، وأن يسجن من كان يقول بالصبر والحلم ، حتى ينفرج أمره بالصبر ؛ فقيدوا أبا صابر فى الحال وجعلوه رهن الاعتقال :

لو قيل من رَجَلٌ طالت بليته لاستعجلت عبرتى حتى أقول أنا

وحدث بعد عامين من هذا أن ثار الشعب والعسكر على هذا الظالم فقد اعتل مزاج الرعية من عقوبة ظلمه وملّ قلب الحشم والخدم من تواتر جوره وقالوا اكتست كل البلاد بكساء الشتاء وامتحنّت كل القلوب بمحن الشقاء والبلاء ، صار الورد من شين ظلمه شوكا ومسمارا ، وصار الخمر من شر غبنه خمارا ، وغدا

نبات هذه البلاد شوك الحسك ونزلت بتلك الوهاد حوادث الفلك ،
فلما هرب الأمير الظالم ، وكان قد قتل أخا له وانقضى عهد
مديد وهو يقول إن أخى فى السجن مقيد بالأصفاد و حبسه من
مصلحة العباد ؛ فاعتقد العسكر أن أبا صابر هو أخو الشاه فأتوا
السجن معجلين وأخرجوا أبا صابر من الحب وأزالوا عنه القيود
والأغلال وباعوه ملكا فى الحال :

لما صبر يوسف فى ذاك الحب أسعد الزمان بتملك الخلق
(والصبر مفتاح الفرج) وأسند أبو صابر ظهره إلى مسند الملك
وأرقد ما كان بالخزانة من مال للحشم والخدم ، ثم قالت جملة
العسكر : لابد من طلب ذلك الظالم حتى لا يصاب الملك بضر
من مكره أو الولاية بشر من غدرة :

لا تدع أيها الملك أن تصير النملة حيّة

والشوكة حين تدعها بشجرة الورد تغدو منارة

والفئصن الذى لا تطويه بيدك

يغدو يوما شجرة سامقة

فرافق أبو صابر الجيش واستأسر خصمه خلال أيام يسيرة
ومهد إذ ذاك قاعدة العدل بما لا تحيط به الأوهام . أكد أساس
الإنصاف بما لا تسعه الأفهام فتضعفت الدخول وتحففت الخروج
وبدت فى البلاد نصفة (عمر) وسعادة القمر حتى صار صيت
عدله فى أفواه الرواة سمرا وتاريخ إنصافه فى خزانة الدنيا دفترا .

أما تلك الجماعة السارقة التي سرقت ولدى أبي صابر فقالوا
تعالوا نهدي هذين الغلامين إلى الشاه ولا بد أنه منعم علينا مكرم
لنا ؛ فأتوا بولدى أبي صابر إليه ؛ فلما وقعت عيناه عليهما سجد
فى الحال سجود شكر لله ، اختص بوصل يوسف مثل يعقوب ،
وتخلص بقوة الصبر مثل أيوب ورأى كواكب الأمانى فى طلوع
وزمان المغانى فى رجوع ، وكان يزيد مبالغته فى كل يوم فى
العدل والسياسة والأمن والحراسة للخلق ويكثر فى تخضير
روضة الملك بعطائه وإهدائه وأدائه وآلائه ، وإذ ذاك أمر بقطع
أيدي السارقة وأرجلهم وإبلاغ جزاء معاملتهم إليهم : (والسارق
والسارقة فاقطعوا أيديهما) فتعجب الناس بما حدث فكيف يليق
بالمملك العادل أن يقطع يد الموالى والعبيد وولديهم إليهم لا يعيد ؟
ولم يدر فى خلداهم ما مقدمة هذا الفعل وما تعبته هذا الحمل ،
ولم يكونوا يدرون أن تلك الجماعة لصوص أنجاس وظالمون أرجاس .

ولما انصرمت أيام عدة سمعت زوجة أبى صابر عدل الملك
وصفته ورأت من أهل الولاية رسوم الانتصاف فاهتبلت يوما
فرصة ودلفت إلى قصر السلطنة وأتت مقام تظلم الرعية لتطلب
حقها ؛ فأتى بعقبها ذاك الجندى وأمسك بها وقال : أغثنى أيها
المملك فأنا من مدة مديدة عاقد على هذه المرأة بعقد المناكحة وموثق
عليها بميثاق المصالححة وهى الآن على ناشز تمضى وقتها على
خلاف مرادى ؛ فأخذت المرأة فى الصياح قائلة : إن بلاطك
حضرة الإنصاف لا مقام الكذب والخلاف ، وهذا الرجل

استأسرنى فى القرية الفلانية ونزع من غاية ظلمه برقع الشريعة
والمروءة ؛ فلما سمع أبو صابر حال تلك المرأة الغريب وتضرع
تلك المتألمة العديمة الطبيب ، أمر فأقيم الحد على ذاك الرجل
وأرسل المرأة إلى السراى الخاص به ، فاستعجب الناس لتلك
الحوادث واستغرب الخلق من تلك النادرات وقالوا : ماذا حدث
للكم ؟ كان من قبل فى طريق الورع والآن هو فى مسلك
الطمع إلا أن مرآة إنصافه قد صدأت أو طلعة عقله قد تربت
وا أسفاه إذ رجس تقديس الشرع بتلبيس الطبع ونكس قلوب
الرعية بأمثال هذه السيرة غير الرضية :

عين الزمان السيئة وباصرة الدهر الردية -

عليهما أثرا فى تغيير عدله

وشجرة الورد التى أنعمت بالأس بورود اللطف

أنبت اليوم فى الحميلة كل شوك وضرر وشر

فأدرك أبو صابر بنور الفراسة وأثر الكياسة أن شائبة الإنكار
قد امتزجت بالضمائر ، وأن هاجسة الظلم قد اختلجت فى السرائر
فأحضروا أمراء الدولة وأمناء الحضرة وأماط لشام الظن السيئ ،
وقال : اعلموا أن هذين الغلامين اللذين أتوا بهما هما طفلاى ،
وتلك المرأة المتظلمة هى أم عيالى الحلال قد استأسرها ذاك منى وقدر
اللطف الإلهى أن يبلغنى ولدي كيوسف ، وأن يأتى بعيالى كزليخا

بمقام التشديد والتهديد : من حفر بئراً لأخيه وقع فيه .

ولما فاتت أيام أخرى خرج الجيش على ذاك الملك الذى نفى
أولاً أبا صابر وعباله من قريته من كثرة ما خرج به من ظلم ،
وهب ساقى الحوادث الملح الأجاج إليه ونهب ظلمة الكثير خزائنه
لكى يعلم الناس أن عاقبة الظلم وخيمة وثمرات العدل نعيمة ،
ودخل يوماً فجأة قصر أبى صابر وصاح أيها الملك الأمان من يد
خصومى والأمن من نوائب أيامى أنا غريق طوفان المحنة وحريق
نيران الحسرة ؛ فعرفعه أبو صابر وقال : هاتوا به إلى ، وقال ألا
تذكر أنك كنت تسود وجه العالم بظلمة الظلم وتبدد مزاج الملك
بقدم الجفاء ؟ أظننت أن عين الزمان لم تشهد حريفاً أجمل منك
أو دار بوهمك أن أذن الأيام لم تسمع رديفاً أوزن منك ؟ ألم تدر
أنك أجزت على المظالم : (هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه)
شردتنى من وطنى ومسكنى ووزعتنى فى أطراف العالم أوردك
ظلمك من الملك إلى الهلاك وأعلاتنى صبرى من الفقر إلى الملك
واليوم يوم المجازاة والوقت وقت المكافأة : (فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) ولا بد من التقيد بمقتضى
النص الكريم :

الطعنة التى تطعنها سوف تنا لها فعليك إشار السلامة

ثم أمر بإيداعه السجن وجلب خزائن جواهره ونفائس ذخائره ،
ثم قال بختيار :

إذا لم يصدق الرأي العالى هذه المعانى فإن قصة الجميل
الكنعانى على أمثال هذا الحال مدلل العدل وموئل العقل . إذا
التفت الشاه إلى قول أصحاب الأغراض وإلى مقالة أرباب
الاعتراض وكل منهم بسبب حقدى وجسدى ذو مرض وفى
إعدامى وإهدامى ذو غرض وعاقبنى وعاتبنى لتباعد عن حلية
الصبر وتقاعد عن جلوة العدل ، ويقين أن حالى هذا يتهدب
وأمرى هذا يترتب بآثار الصبر والحلم الملكى وإيثار التريث والعلم
السلطانى .

ولما بلغ عرض الكلام حتى هذا الحد ووصل طول الحديث
إلى هذا القد وكان النهار يهيم أسباب الارتحال والشمس تعزم
حركة الانتقال أمر الملك بالتمهل والتريث إلى الغد ووضع بختيار
فى الغل والقيد ؛ فذهب بختيار إلى السجن وأسند رأسه على
ركبة الحسرة وأوكل قلبه إلى حكم المقدرة :

الليل حبلى ما تلد والههم ينقص أو يزد
فلا تعتقد بالحبس هما ووحشة فأول كون الحرفى أضيق الحبس

ولما امتدت نوبة حراسة بختيار إلى اليوم الخامس ووصل
انشغال وزراء الملك سمع النجم القابس أتى حضرة الملك الوزير
الخامس الموصوف بقوة الرأي المتين والحلم الرزين والمعروف بأنواع
الذكاء وكمال الدهاء وأطلق لسانه بعد الخضوع والدعاء والتحية
والثناء وقال : أدام الله الملك وبقي ذو الرأي العالى وصاحب

المعالي فى ترادف الجبور وتضاعف السرور ، إذا وُصف توقف
الشاه فى تعرف الجُنّاح بأنه من كمال الحلم وتمام العلم لكن فى
مقام الجرم الأظهر من الشمس فإن إمضاء العقاب هو محض
الصواب وإى تأخير يقع فى أمثال هذه الأحوال فهو دليل فتور
العزم وقصور الحزم ، وعدل الملك حصن حصين لخلائق العالم
من صدمات النوائب وخطوات المصائب ، وجدار هذا الحصن
الحصين إمضاء السياسة والعقاب وباب هذه القلعة المتينة هو إقامة
حدود الشريعة ، وحينما يقع فى العقاب تقصير تظهر ثلّة فى
هذا الجدار ، ومصلحة الملك والرعية وقرار الدين والدولة تتأتى
بسيّف العقاب ومجازاة الجناية تتحقق بحسام النكال والنكبة ؛
فأمر الشاه بإحضار بختيار واستدعى الجلاد ، ولما رأى بختيار حدة
الجلاد وكدورة ماء الحساد ، قال : أدام الله الملك الباسط للعدل
الواسع العقل ، قال الحكماء إن رب الأرباب ومسبب الأسباب
ورازق الدواب والحيوانات وخالق الأنفس النامية فى أجزاء
النباتات لا يسلم مفاتيح الرعاية والحماية لآلاف الناس إلا لمن
هذب ورتب فى شخصه الواحد قوة الفكر وصفاء الروية ونور
العقل ولباس العدل المجتمعين لمائة ألف شخص ولا يجعله ولى
الملك والسلطنة مالم يمنحه ذاك ، وللملك أن يعجل بالمعاقبة إذا
كان فى فواتها خطر أو من عدم تداركها أثر ، ووجودى أنا العبد
فى قيد الحبس وطالعى فى وبال النحس ، لى من كل جنس
حسد حاسد ومن كل نوع قصد قاصد ، وإن يتأمل ويتمهل الملك

فى عقابى وبتان فى إمضاء الحكم على ؛ فهذا هو الأولى والأحرى
فقد قال الحكماء : (الأناة ثمرة الحزم و عقيدة العزم) وإن سمح
الملك لأقصر عليه قصة مؤداها أن الحسد خصلة ذميمة وعاقبة
الحسد جد وخيمة ؛ فقال الملك : قصها لأسمعها .

الباب الخامس

*

قصة أبى تمام الوزير والبلية التى أصابته بحسد جماعة
الحساد والخزى الذى رآه الحساد وأصحاب العناد والعقوبات
التى حلت بهم بسبب حسدهم

قال بختيار: أطال الله عمر الملك فى عيش لطيف مثل اعتدال
الربيع ومعيشة موزونة يوافقه الزمان الوديع ، كان بالماضى وزير
اسمه أبو تمام واقف على دوران الأيام ، سمع من الدنيا جدها
وهزلها ورأى من الخليفة ملكها وعزلها حتى إنهم ضربوا فى
عهده مثلاً بالثمرات لعدله وأفاضوا القول فى نتائج عقله ، كان
رأيه المتين كتاب فتح النصره ، وكان توقيع قلمه طراز رداء الدولة ،
وكان هذا الوزير فى حل وعقد ملك ، وكان هذا الملك يبدى
دائماً لرأيه الخلاف ويهمل فى نصحه سماع الإنصاف ، ولم يكن
يعترف بحق مناصحته وفضله ، ولم يكن يعرف حد مراتب عقله ،
وكان يجهل أن رأى الوزير الكامل هو بستان يزين سرو بقاء
المملكة ، وأن قلم المشير العادل حارس يقظان يجلى طريق لقاء
الدولة ، وطمع ذاك الملك فى ماله والمال معشوق بهى المنظر

ومحبوب بقلقة القمر ، وله من أجل حصول الأغراض واسطة
ولأجل عروس الزمان ماشطه ، كان كمالاً لكل فلز ومظهراً لكل
عز ، وضاق الوزير بسبب عدم كماله وتجمله ؛ فشرح لجماعة من
الخواص وطائفة من أهل الاختصاص آلام قلبه ، وقال : ترون أن
هذا الملك لا يسد عنى أى إيلام ، ولا يسعد قلبى بكلام ، فلا بد
على سبيل الاضطراب من مبارحة وطنى الأصلى ولا مندوحة على
وجه الضرورة من إثارة الفراق والانفصال على الوصال والاتصال :

إن كنت تعلم أن الأرض واسعة	فيها لمثلك مرتاد ومتنقل
فارحل فإن بلاد الله ما خلقت	إلا ليسكن منها السهل والجبل
وهنا لا حرمة لى ولا حشمة فأنزل	حيث تكون الحرمة لى والحشمة
إن لله غير مرعاك مرعى	ترتعيه وغير مائك ماء
إن لله بالبرية لطفاً	سبق الأمهات والآباء
لأطيرن من سوء الأيام كما	يطير سهم قوس من الأسهم
وأترك نعيمك وجداك المطهم فلا	

يبقى غير نفسى الشريفة وحمارى الأعرج
وإن أردت بلائى لكل جور فإنى كالنمر لا يرضى ظلمة النمر
وفى آخر الأمر جمع الوزير حشمه وحاشيته وحشد ماله
وماشيته وحمل كل ماله بد وأهمل كل ماهر زائد وأخذ يطوف
بأطراف الآفاق وبلاد خراسان والعراق ، وله فى كل منزل نزل
من السرور وفى كل مرحلة حلة من الحبور :

وخير عمر الفتى عمر يعيش به مقسم الحظ بين الجحد واللعب
فحظ ذلك من علم ومن أدب وحظ هذا من اللذات والطرب

وقال عليه السلام : سافروا تصحوا وتغنموا ، وأخذ يتقل
من مدينة إلى أخرى حتى حطه الزمان بأرمينية والآن ؛ فذوقوا
خيامهم فى ركن من مرج وسفح جبل زى أوج ، وكان منزلهم فى
هواء صحيح ومقامهم فى فضاء فسيح ، ماؤه زلال ونسيمه من
الشمال ، أطيّاره فى ترنم وأزهاره فى تبسم ، ومكث الوزير هناك
أياما عدة وكان خدامه إلى المدينة يأتون فيبيعون ويشترون ؛ معهم
مودتهم ، حتى سمع الملك يوما أن رجلا شريفا وسيدا لطيفا أتى
ولأيته ومعه حاشية مهذبة وأسباب مرتبة فأرسل إليه جواده الخاص
واستدعاه إليه بإعزاز وإكرام وبذل له ما أمكن من التبجيل
والاحتشام والتعظيم والاحترام ، وكان أبو تمام قد أتى معه بهدايا
غريبة وطرائف عجيبة ، وقال عليه السلام (تهادوا تحابوا) ؛ فلما
وصل حضرة الشاه قبل الأرض وعرض الهدايا ، فألبسه فى الحال
خلعته وأعادته ومعه نقباء حضرته وأصفياء معيته ، وكان الشاه من
بعد ذلك يستحضر أبا تمام ويستبشر بنوادره وكلماته ولطائفه ،
كلما بسط بساط السرور وضبط لذات الحبور والخمور واشتغل
بالشراب الريحانى والسماع الخسروانى واشتعل كل مصباح سرور
فى زجاجات النور .

وحدث أن أتى الملك يوما إلى الميدان يلعب الكرة والصولجان وكان كفاءة الأبطال يشبون بجيادهم وعتاة الرجال يتلاعبون بصولجانهم ، كانوا يتخاطفون برمح السنان الحلقات ويخرجون من جيوبهم في آداب الضراب اليد البيضاء والمعجزات، وكان أبو تمام على دقائق المبارزة والمحاربة واقفا عارفا وفي أنواع الكر وعطاف الطرد والفر متصرفا ، عارك كثيرا من الحرب والمصاف وذاق عظيما من المشوب والصافي ، كان يعلم السهم على أى عطفة يمكن رده والرمح بأى طريقة يمكن منعه ؛ فأظهر العجائب فى الكر بالحصان واللعب بالصولجان ؛ فلما شاهد الملك من أبى تمام كل هذه البدائع فى آداب الطعن والضرب الرائع امتدحه وأثنى عليه وبألف فى توفير مراتبه وتوفير رواتبه وجعله مقرب مجلسه وأقرب نديمه ومؤنسه، وكان يبلغه فى كل يوم مددا من تقريره ولطفها من ترحيبه، وكان دائم الامتداح لشمائله ومخائله فى الغيبة والحضور متصل الأفراح عند تجلية والظهور :

كل ذات فيها من المعانى أثر له بها على لبيب وعافل خطر
وقال يوما أبو تمام : إن إكرام العبيد ليس بدعاً من مكارم أخلاق الملوك ، فعادة الشمس هى التنوير وطبيعة السحاب هى التلطيف ، لكن نظر عواطف الملك لهو محبوب أهل العالم ومطلوب أولاد آدم؛ فهم إن رأوا النظر الملكى فى خفى أنا العبد غير متناهٍ كدرت جماعة بحكم الحد مرآة قربتي ، وأذهلت طائفة

بغبار الغيرة عين سعادتى ، وقال النبى عليه السلام : إن الحسد
ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب :

أنا كالورد فيه راحة قوم ثم للآخرين فيه زكام
وفى أعين الحساد يظهر الصلاح هو الفساد والرواج هو
الكساد والحاسد يرمم بالغيب ويبحث عن العيب، ويظن أن الورد
اللطيف هو الشوك الكثيف ويعد فخر الذوات عار الصفات ؛
فقال الملك : اعلم أن سعى الحاسد فى سوق العقل جد كاسد
وترهات الحساد فى سمع أهل السداد فواسد :
فى سمعنا وهو مركز فرجار الحكمة
لا ينفذ إليه قط مقال الحق والحسد

والنقش الذى ينقشه على صحيفة المكر حسود

لا ينظر إليه قط نظر قلبى

وكان للملك أربعة وزراء نصبهم الملك بحكم الفطنة والفطرة
وهم موضع اللطف الأزلى ومصنوع الفضل الأولى على الملك
على مثال العناصر الأربعة حتى يقيموا نظام الملك بالتركيب
والامتزاج برأى الملك ذى المحجة والحجاج ، ولما رأى وزراء
الحضرة وهم سفراء المصلحة وأمناء الدولة قربة أبى تمام فى حضرة
الملك بِتَمَّ تام تلاطمت أمواج الحسد فى بواطنهم وتراكت غيوم
الغيرة فى ضمائرهم فقال أحدهم للآخر بطريق المشاورة إن هذا

الرجل الغريب سوف يذهب بعزتنا وأبهتنا ولا يجب أن يضار
شجر مرتبتنا بعواصف استيلائه أو ينهار ثمر درجتنا بقواصف
استعلائه؛ فلا بد من طريقة يتبدل بها من القرار إلى الفرار ويتحول
بها من عزيمة السكون إلى هزيمة (كن فيكون) ؛ فأشار كل منهم
برأى ولم يتفقوا على شيء، قالوا ما تدبر هذا الأمر (إن البغاث
بأرضنا يستنسر) فقال إذاك كيبرهم : لملك الصين بنت ليس
اليوم فى جمالها فى بساط العالم بنت حواء ، هى شمس فى
صورة بشرية وحرورية فى هياة آدمية يقتطف الورد لونه من
طلعتها ويختطف السكر حلاوته من قولتها حوراء إنسية وعذراء
قدسية ، خطبة حسننها على ذروة المنابر ولهفة شوقها فى قلوب
الأكابر والأصاغر وملك الصين يقتل الرسول المبعوث من أى
ملك يلتمس المصاهرة ويستأنس المزاجية ، وسوف نحكى
للشاه قصة الحسن والجمال وبدائع الكمال لتلك الفتاة فإن
سمع صفة جمالها ليشعرن بالحب الصادق نحوها والشوق
المحرق لها ، فيطلب رسولا مهذباً فتفق جملتنا على أن
البسالة على هذا فى ذات أبى تمام مجموعة ودفع الملهمات
وكفاية المهمات فى رأيه و رؤيته موضوعة ؛ فيشير الشاه على
أبى تمام بوجوب الرسالة ويضطر أبو تمام إلى القيام بها بوجه
العجالة فإذا ذهب أبو تمام بات رجوعه متعذرا وما بات إياه
متصورا .

وفى اليوم التالى أداروا الكلام وبالغوا فى وصف أصناف الجمال وأوصاف الدلال فى تلك الفتاة حتى ظهر بالشاه العشق الكلى والميل الأسمى ، والأذن تعشق قبل العين أحيانا .

وظفق الشاه عائدا من اليوم تاليه بحكم العشق فى السؤال عن أحوال الصين ورسومهم وعوائدهم ، فكان الوزراء يهتزون لسؤاله طربا ويردون عليه لتشويقه وتعشيقه قلبا ، حتى اضطرب واضطرب الملك فى قيود العشق ، وكانوا فى كل يوم يعطون لغصن عشقه ماءً وفى كل لحظة يهبون طرة حبه ضفيرة وبهاءً ؛ فزال عن الشاه المنام والقرار واستحال عليه السكون والاصطبار فأفضى إلى وزرائه بعشقه ومحبه وقَضَّ عنه برقع عفته وأماط اللثام عن آفته :

وحدثنى يا سعد عنها فزدتنى جنونا فزدنى من حديثك يا سعد
هواها هوى لم يعرف القلب غيره فليس له قبل وليس له بعد
قال : أموال الخزائن احصروها ودخل الأسباب والأملاك
احرزوها حتى أرسلها جميعها إلى ملك الصين وأخطب منه ابته ؛
فقال الوزراء : لا يمكن إرسال الخزائن والذخائر مالم تعزم عقدة
المناكحة ويحزم عهد المصالحة ويجب إرسال رسول أولا حتى
يؤدى الرسالة ويهدى الهدية ويأتى بخبر ؛ فقال الشاه أحستم قولاً
لابد لهذه الرسالة من رجل ذى كفاية وهداية له منظر لطيف
ومخبر شريف فاطلبوه ؛ فقال ليس اليوم فى ملك الملك أتم من
أبى تمام رجولة ؛ فهو بإقبال الملك فى العلم والعقل قدوة وفى الحلم
والفضل قبلة ، ازدان بالخلق والخلق ، وتزين باللطافة والظرافة .

فلما أتى أبو تمام بعبادته المعهودة إلى حضرة الشاه قال له الشاه : اعلم أن لى بشهامة رأيك اعتقادا وبنهاية علمك اعتضادا ، وقد جدت مهمة كلية من المهام الأصلية ، ولم نجد حتى هذه الغاية لإتمام هذه المهمة لها أهلا ، وكنا نظن أن ذاك المشكل سهل ، لكن اليوم لما أن الملك له اعتداد بمكان رأيك الصائب وله استعداد بأركان عقلك الثاقب ولنا مدة ونحن نود أن يجرى بيننا وبين ملك الصين مراسلة وتسرى لاستحكام المودة بوجه النكاح مواصلة ، وعلمنا أن لابد لإتمام هذه المهمات من مفاتيح كفايتكم ولاءتكم هذه المرادات من مصاييح درايتكم ، فسجد أبو تمام وقال يفتديكم عبدكم بماله وعمره حتى يحصل كل مطلوب الشاه وجميع محبوب الأمر الناهى .

ورتب الوزراء أسباب الرسالة من المراكب والمراكب وأعطوه للهدية من الخزانة زواهر الجواهر وغرر الدرر والأكسية الغربية والأسلحة العجيبة وخرجوا حتى منزل تام فى وداع أبى تمام بالشراب والإنشاد وأسباب الاستعداد ، ولما وصل أبو تمام إلى دار ملك الصين وسمع بخبر قدوم الرسول ملك الصين أمر بترتيب المنزل والنزل والشراب والنقل ومقابلة قدومه بأنواع الألفاف وألوان الاستعطاف ، ولما قدم أبو تمام بالهدايا والتحف وأدى التحية والسلام والأشواق قام ملك الصين بكل ما بالإمكان من الاصطناع والتعظيم وأنواع التكريم وأمر له بكل ما فى التصور من التجشم والتبجيل والإعزاز والتفضيل ، ثم قال لأبى تمام يوما :

ملك الآن ملك عظيم وشاه الآن شاه كريم ، ولم أجد فى العالم خاطباً لكريمتى أعظم منه ولا ملكاً أفخم منه إلا أنى أعددت لها جهازاً محقراً ورتبت ما لا بد منه بقدر الاستطاعة ، وأنت رسول أمين ورجل برأى متين كما يبدو : (إن الجواد عينه فراره) ونسيم عطر غالية الأمانة تصل من روائح شمامتك إلى كل مشام ، وآثار كمال الإنسانية تظهر من نقش براعتك فى كل مقام ، فعليك بالذهاب ورؤية ابتى بعينك والنظر إليها بنظر رضاك وعين يقينك وتلقى نظرة على جهازها :

إذا نلت منك الود فالمال هين وكل الذى فوق التراب تراب فإن كانت لائقة بملك الآن فالأمر أمرك ؛ فقبل أبو تمام الأرض وقال : إن الكريمة التى هى من صلب الأبوة الملكية وفى معرض الموائمة والمواصلة السلطانية لا يجوز فى العقل والشرع لى رؤية طلعتها أو سماع مقالتها ، وإذا لم تكن لائقة لذلك الملك ما أرسل التقدير الربانى والسعد الرحمانى إلهام الطلب إلى باطنه بل ما وضع القضاء والقدر فى قلبه هذا الجوهر :

كل من كان للدولة مهياً إذا لم يطلب الدولة طلبته أما عن الجهاز فغرض ملكنا ليس تحصيل الملك والمال بل تسجيل الشرف والكمال : (المال غاد ورائح والمودة مسك فائح) . فقال ملك الصين : أحسنت أيها العاقل الحبيب ورجل التجاريب ، فقد أتى كثير من الرسل لطلب هذا العقد وتحصيل هذا العهد لكن

كل رسول قلت له هذا الكلام كان يسارع في الحال إلى مطالعة مستورات حريمي ويبادر لرؤية محارمي ومكارمي فلم تكن لي طاقة تحمل ذلك العار وإمكان حمل هذا الشنار فكنت أفصل في الحال عنقه وأدركت أن الرسول إذا لم يكن يعلم دقائق الحرمة فإن ملكه أيضا لا يفقه مراتب الوصلة وسفه الخادم دليل على سفه المخدم ، لكني لما رأيتك بعقل راجح وعلم واضح أدركت أن الكوكب يستمد نوره من شمس العلاء ، وأن الصدف يستقبل لآليه من سحاب السماء وعكس نور الشمس هو من ذاتها الكاملة وقد عقد جواهر التجارب العقلية في معدن باطنك ، والآن فخدماته ابتى ونثار عمره مالي وولايتي ، واستدعى أئمة الأيام والقضاة والحكام فعقدوا عليها عقد المواصلة بموجب الشريعة والسنة . فلما ظهر بين الملكين زواج وبين الدولتين امتزاج صار هذا الفرج والسور تاريخ الدولة وغدا هذا السرور فهرست السعادة ، لما فرغوا من نثار ذاك العقد وإحكام آثار ذاك العهد أعدوا الهودج والمركب والموكب وأرسلوا الفتاة مع جمع من الخدم وأعيان من الحشم ؛ فأسبق أبو تمام المبشرين وأبرق البشارات :

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا

فلما وصل الخبر إلى الشاه تقدم المنازل والمرحل للاستقبال ، ولما وصلت أحمالها إلى منزل القرب ووقع نظره على الجمال ذي الكمال لهذه العروس وتجلت له تلك الطاووس تتكسر في روضة

الوصال وبستان الدلال أمر ففتحوا باب الخزائن وفكوا بدرات
الذهب والجواهر :

يجب فتح قفل البدرات وتمزيق رقعة أسفل الكيسات
وينبغي بيع كل ما بالدار وشراء محبة مثل تلك الطلعة
وفرق على الجيش أموالاً عظيمة ويسط للفرح الملكى بسطاً
فخيمة فظلوا يسمعون الأغاني ويجرعون الشراب الأرجواني ،
وكان للملك أبى تمام بحكم آثار الكفاية لديه وأنوار الشهامة عنده
استثناس ومن لطائف علومه وبدائع معلومه اقتباس ؛ فقال الوزراء
لأبد من تدبير لدفع هذا الرجل فالملك لم يعد يتنزه فى رياض
تديبرنا ، ولم يبق يتفكه فى بستان مشورتنا ، وكان من قبل يحمل
الأزهار من روضتنا ويشعل الشموع من منارتنا ، واعتراضه هذا
سبب فوت أغراض جاهنا ومالنا ، وإعراضه هذا موجب انقراض
حرمتنا ومالنا ، واتفقوا آخر الأمر على هذا الأمر ، وهو أن
الشاه كان يثق بغلامين جميلين عاقلين ومطيعين ، كانا يدلكان كل
ليلة قدمى الشاه ؛ فقال الوزراء : شفاء هذا الداء العضال هو أن
نعطى العبدین مالا عظيما لكى يحدث أحدهما الآخر بطريق
الإسرار حين ينام الشاه بأن أبى تمام لم يحفظ حق نعمة ولینا ولم
يرد على فضله طاعة ولینا وأجاز له عقله أن يجعل حق النعمة
لولى النعمة حراما وسوغت له مروءته أن يسب للشاه حرماً
محترماً ، أعطوا الغلامين المال إليهما ، ووضعوا هذا التلقين على

طريق التعليم بباطنهما ، ولما دخل الليل وجلس الندماء الخواص وقص أهل العقل وأصحاب الفضل الأسمار والأخبار وانفرج طبع الشاه وتبهرج مجلس المؤانسة حتى أخذت الشاه سنة من النوم ، وعاد الندماء أخذ العبدان يدلكان قدمي الشاه ، وقال إذ ذاك أحدهما للآخر : إذا لم تكن نخشى الشاه لفصلنا عنق أبى تمام ابن الحرام من منبته واجثثناه من شأفته ؛ لأنه يهمل حق ولى نعمته ويسىء القول إلى حرم الشاه ويقول إن هذه المرأة إلم تكن تعشقنى ما تركت بلادها لتبعنى ؛ فلما سمع الشاه هذه المقولة جاش فى نفسه بحمية الرجولة وخفق قلبه خفقانا وأخذت وساوس الشيطان تشعل به نار الغضب والشنآن وشرر حمية الشر تحرق بيدر السكون والصبر ، فقال فى نفسه : لو سمعت هذا الكلام من شخص آخر لحملته على حسد وغرض ، أما هذان الصبيان فأى حقد بهما لأبى تمام ، إنما يقولان مجتمعين شيئا يشاع ويحكىان أمرا بعد السماع .

فلما هب ريع السحر ، وتنفس الصبح الصادق من جانب المشرق أتى أبو تمام على قاعدته المعهودة إلى الحضرة المشيدة ، فقال الشاه : لدى فتوى وأريد منك جوابها ، فقال أبو تمام : تفضلوا ولو كان للعبد إمكان الجواب قال الصواب . قال الشاه : لو أن أصغر خان أكبر خيانة تتعذر حكايتها ولا تتصور روايتها فبم يقضى الواجب ؟ فقال أبو تمام : جزاؤه إنهاء حياته وقصاصه

إحلال مماته ؛ فاستل الملك فى الحال الحسام وفصل به رأس
أبى تمام ، ومن بعد ذلك لم يعد يفضى بوجه المراعاة لكلام
أو يرتضى بوجه النشاط والانبساط بتمام لدى ابنة ملك الصين التى
كانت جميلة الألوان وأعجوبة الزمان :

ما إن رأتى حبسى حتى واجهنى بالجار كأنما يشعر من ذكرى بالعار
حتى جاءت ليلة بارح الشاه فيها الرقاد وحل به
السهاد ، فخرج متنكرا يطوف حول حرمه ، ويسترق السمع إلى
ما يقال خلف كل باب وداخل كل حجرة وإلى ما يقتطف من كل
شجرة :

يا راقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد بطرق أسحارا
لا تفرحن بليل طاب أوله فرب آخر الليل أجج النارا
فوصل باب وثاق هذين الغلامين فرأهما فى نقار و إنكار
واشتجار كدرا صفاء مشرب الأخوة بجفاء مكرب الخصومة ،
وغيرا قاعدة اتفاق الوفاق إلى مقعدة الخلاف والشقاق ، وكان
أحدهما يقول : كنت أنا قائل هذا الكلام فلا بد لى من القسط
الأكبر من المال ، وكان ثانيهما يرد : أتفاخر بكذب قلت وتتكابر
بتزوير فعلت ، ومع هذا ضاعف نصيبك إن لم أكن شريكك
أو أقل نصيبى إذا لم أكن حليفك :

وما هى إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب هممن اجتذابها

فلما سمع الشاه هذا الكلام عَضَّ أَصْبَعِ التحير بأسنان التفكير ووضع يد الندامة فى جيب الملامة ، وقال ما أشدها حسرة مخلدة، وما أمضاها غصة مؤبدة ، وا حزناه على روح أبى تمام التى أزهدت بسبب تخليط طعمة لثام ، ما جرى حتى غدا تعجلى سبب تخجيلى ، أنا الذى تسببت فى ظهور هذا الغم ، وتطلبت لحلول هذا الغم والألم : (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة) . استدعى الغلامين وقال أصدقانى القول : من الوزير الذى لقنكما هذا التقرير والتزوير ، واكشفا لى الستر من الإبلis الذى حاك لكما لباس هذا التليس ؟ فقال الغلامان : خدعنا الوزراء بالمال ووضعونا بالتعطف والتكلف فى جوال الافتعال ، وأدخلونا فى غرار الغرور .

فاستدعى الشاه الوزراء فى الحال وقال : معلوم لأهل العالم ومحقق لأبناء آدم أن دم المظلوم لا يضيع هدرا ولا بددا ، قال تعالى : (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل) ، وقال النبى عليه السلام : (الدم لا ينام) يا طير الشؤم وجمع اللؤم استقررتم فى وكر المكر ونهلتن من غدیر الغدر ومن كانت نيته غياض الغيظ ، فقيمه أقل من خرقة الحيض ، واليوم هو يوم جزاء المكر والساعة ساعة قصاص الغدر (ولا يحيق المكر السئ إلا بأهله) وفتوى الشرع بوجوب القصاص وشرط الملك هو الخلاص منكم (ولكم فى القصاص حياة) ، وإذ ذاك صاح بختيار

بلسان الاضطرار : للشاه بحكم هذه القصة العفو عن المظلومين
وعدم سماع كلام الحاسدين وألا يعجل فى إقامة العقاب .

ولما وصل حد الكلام إلى هذا المقام أخفت الشمس وجهها
فى لثام الغمام فأمر الشاه بحمل بختيار إلى السجن ويغله وقيده :

قالوا اعتقلت بلا جرم فقلت لهم الليث يرسل أحيانا ويعتقل
لا تجزعن لما بأتيك من نوب فإنها دول لا شك تتقل

ولما سقط زهر اليوم السادس فى خاتمة الزمان ودار قرص
الشمس فى جنبات السماء والأركان أتى الوزير السادس إلى
حضرة الشاه وقال : أدام الله السلطان إن جهات العالم الست
قائمة بالعدل ، وإن هذه الأفلاك السبعة العالية والسيارات السبع
العلوية منتظمة بالاعتدال وعدل السلطان هو حياة شخص الملك ،
وكما أن ليس للجسم بقاء بلا روح فإن الملك بلا عدل يفنى
ويروح ، ومن آثار العدل عقاب المفسدين والإحسان إلى
المصلحين ، وإن طالت معاقبة هذا الغلام ، تجرات الخلق على
الفساد والخصام ، فأمر الشاه بإخراج بختيار من حبسه ، وقال :
للمفسدين تأديب الشنق وللفاسقين جزاء الحرق ؛ فأطلق بختيار
لسان البيان : لو أن السعاة يتوسلون بالتخيل فلا تأمرن بالتعجيل
ولو أن الحساد يطوون سراب الظلم فلا تدعن سراب الحلم
(كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء) ، وفتوى القرآن المجيد
والفرقان الحميد تمنع سيد الأنبياء وقبله الأصفياء من التعجل

والتعجيل : (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إلك وحيه) ،
ولا يجوز فى تذكر القرآن وتكراره التعجل ، ولا يحق كذلك
إعدام حيوان ناطق بقول جمع فاسق غير موافق ، وكل من تعجل
الأمر زلزل قاعدة العقل ولاقى فى العاقبة ذاك الندم والتعب الذى
حل بأمر حلب ؛ فقال الشاه : قُصْ علينا ما جرى لأمر حلب
وما أعطاه زمان النصب من شراب الجفاء واللغب ؟

الباب السادس

قصة ابن مالك حلب وما أصابه من ألوان التعب
وأنواعه وما رآه وعاناه من الاستعجال

فى اختلاف الأحوال ..

قال بختيار : أطال الله حياة الملك فى ظل الحفظ الإلهى وانتظام البلاد الملكية ، كان ملك فى حلب يزدان العقل والأدب . كان رأيه يمنح التركيب لعناصر الإنصاف ، وكان عقله يبدى النظم لجواهر العدل . كان حسن الأدب يهب سواد حلب طراوة من لدنه ، وكانت مكارم الأخلاق ترث خطة العراق بهجة من قبله ، وكان له ولد به خفة وعجلة ونزق وقلق . كان كل مراد فى خاطره يختلج وكل تمن بضميره يزدوج ، يريد أن يتيسر فى الحال ويتقرر فى الآن وإن تصور شائبة تأخير عن منه خطر أن يضرب أساس الولاية ويقلب قواعد المملكة ، ولما أن لطف الأزلية وفضل الربوبية قد وشى لباس خلقتة بطراز الحسن ونقش جسده برقم التناسب فى الفطرة والتقارب فى الصورة وكان ربيع جماله برياحين الكمال معطرا وعالم إقباله بأنوار الحلال منورا ؛ فقد كان له بجماله عجب عظيم وبحسنه تكبر مقيم . كان يقول أنا يوسف الثانى فى جمالى ومثار حسد النرجس والورد فى غمزتى ودلالى .

وابتاع وقتا من الأوقات بضعا من الطرائف من تاجر مصرى ،
ولما أن التاجر كان يطوف بأطراف بلاد الخلق ويصل حد الغرب
بحد الشرق كان الأمير يستفسر منه عن أحوال ملوك العالم
ومراسم أبناء آدم إلى أن قال للتاجر يوما : لا بد لى من عروس
ليس فى جمالها لها مثل ولا فى كمالها بديل ؛ فقال التاجر :
سمعت أن لملك مصر ابنة ليس لها فى الجمال مماثل ولا فى الخلق
والخلقة معادل ، بستان جمالها مريض الحوريات وروض دلالها
متزه البكرات ؛ فلما سمع الأمير هذا المقال قدم فى الحال إلى
أبيه وقال : لا مفر لابن آدم من مواسٍ ومؤانسٍ والنكاح سبب
تحصين الدين والخل الموافق سبب الفراغ والتمكين ، ولا بد من
استدعاء نكاح أميرة مصر لأجلى والافتداء بكثير النعم والثروة
لخاطرى . ؛ فى حصول مراداتك واجتهدت الجهود فى أمانيك
وسعادتك لكنه هو ملك مصر وأنا ملك حلب ، لى ملك حلب
وله ملك العرب فلا يتوجب بحكم عدم الكفاءة أن يوصف
الطلب بالبذاءة وإذا رد الالتماس استقرت العداوة بين الطرفين
وظهرت البغضاء والهيحاء بين الملكين . قال : يمكن تحصيل المراد
بالمال وتحقيق جملة الرغائب بالفضة والذهب :

وَأَنْتَ بِهَا كَلْفٌ مَغْرَمٌ	إِذَا كُنْتَ فِي حَاجَةٍ مَرْسَلًا
وَذَلِكَ الْحَكِيمُ هُوَ الْجَوْهَرُ	فَارْسَلْ حَكِيمًا وَلَا تَوْصَلْهُ

فكاتب ملك حلب سلطان مصر وذكر في كتابه أنه عبده من
فرط التواضع وقال : أنا لك عبد مطيع و غلام وديع أرسل خراج
ولايتي إليكم وأقبل خطبتكم وسكنكم ، وإن انشغل السلطان بهم
من طرف أزلت بأبطال الضرب وشجعان الحرب انشغال السلطان ،
واسترقاق قلوب الأتباع بلطائف الأفضال هو عادة أهل السيادة
والإقبال ، ولعبدكم ولد أنار مصباح العقل وحذق الأدب والفضل
ولو كان الاقتران والزواج غير متصور بين الشمس والسها
والأرض والسما ، فمع هذا فلأجل اكتساب الشرف المقيم
والانتساب لمجدكم القديم يرغب العبد أن يخطب كريمتكم لابنه ،
فإن حدث له بدولتكم قرية واقتربت حاجته بالإجابة والرتبة
حصل للعبد سعادات الدنيا والدين وإقبالات السماوات والأرضين
ووصله المرادات الأهم ومطلوب سائر العالم ، فلما وصل
الرسول والرسالة بأنواع الهدايا إلى مصر رأى ملك مصر هذا
التواضع بلا نهاية والتضرع بلا غاية ، فقال في نفسه : لا يعارنى
مصاهرة أمير ، ولكن لا بد بالمال أن يمتحن . فلو كان صدق المودة
فى ضمائرهم ولطف الرعاية فى سرائرهم اغتنموا بنسب
الأموال واستسعدوا بحصول الأغراض ؛ فاستدعى الرسول وقال :
لا أقيم هما من الابنة ولكن والدتها تقول لا بد من مائتى ألف دينار
نقدا حتى تمضى هذه الحاجة ؛ فلما أب الرسول وأرجى هذه
الرسالة أمر ملك حلب بإحصاء ما فى الخزائن من ذهب وما
بالأدراج من درر وغرر فكان مائة وستين ألف دينار ؛ فأرسل فى

الحال هذا المال إلى مصر مشفوعا بكثير من الخجل والعذر ، وقال
الباقى أرسله بعد شهر بأنواع الهدايا والمراكب والمطايا متعاقبا ؛
فلما علم أمير حلب بأن المدة شهر قال لوالده : أنت تعلم أننى
لا أطيق هذه المهلة ولا أذوق مرارة الصبر والهجر ، فضع اليوم على
الولاية مبلغ خراج إضافى وسلم الإذن للعمال بتحصيل المال ؛
فقال أبوه : لا يتسع طريق العدل والإنصاف لأن يجرى على
ضعفاء الرعية لتحصيل شهوات ولذات نفسية ظلم وجور ولا
يمكن لأجل مراد لك جعل آلاف القلوب بلا مراد ولا يجب
لمراعاة جانبك جر خلق بلا خيانة فى الجناية ؛ فأجاب الابن : لى
شوكة الرجال وقوة تحصيل المال ولا ينقصنى النعمة والحرمة طالما
بإمكانى السطوة والقوة :

الليل والخيل والبيداء تعرفنى والطعن والضرب والقرطاس والقلم
فخرج من عند والده وإذ بقافلة تصل من عدن إلى مصر ،
فلما رأى الأمير المال لديها كثيرا والمنال عندها وفيرا أخذ يصرع
التجار بطعن السهام وبدأ يقلع السيار بوخز الحراب كان يجدل
على التراب جماعة بكل حملة كان يحملها ، واتفق أن كان بتلك
القافلة رجل مغربى اسمه غراب الثرى شجاع مسغوار ومبارز ذو
اعتبار ؛ فصرخ فى الأمير وبحملة صادقة ألقى به من جواده :
(وفوق كل ذى علم عليم) ، مثل : الحديد بالحديد يفلح
والسيف لا يرد إلا بالسيف . وأوثق يديه فى الحال وأتى به إلى

مصر ، ووضع غل الذل على جيد وجوده وجعل قيد القهر مانع قيامه وقعوده ؛ فلما استراح غراب من مشقة السفر وراح تعب الحركة عن جثمانه ، اتجه إلى حضرة ملك مصر لكى يجدد عهد الطاعة ويؤكد مرتبة القربى ، وكان لغراب بحكم شجاعته كرامة عنده ، وكان الملك يتفقد أعماله ويتعهد آماله فى كل أحواله ، وكان غراب واقفا أمام عرش ملك مصر حين وصلت رسالة ملك حلب ويقول فيها : مضت مدة وولدى عنى غائب وبدر وصاله عن نظرى غارب ، فلعله جمع تلك الأربعين ألف دينار وقصد بها إلى تلك البلاد بدافع الانقياد ، فلو استسعد بأنوار سعادة قرب جنابكم ، واستمد من فيض آثار نظركم ، فلتأمرؤا بإعلامنا حتى يفرغ بالنأ ويقر جنانا ؛ فلما قرأ ملك مصر الرسالة بينما كان غراب أمام عرشه واقفا ألقى فى الحال فى روعه أن هذا أمير حلب الذى أسره ورسف فى غله وصفده فأتى الوثاق وسأل الأمير ما سبب ما أقدمت عليه ومن بعث وحمل على ما انتهيت إليه ، وعند أهل المروءة قطع القوافل فعل ذميم ومنتهاه وخيم ؟ فأجاب الشاب : جنون الشباب الفتان وغرور إبليس الشيطان قد أوقعنا فى هذا المهلك (الشباب شعبة من الجنون) فماذا يحدث لو تغض طرفك عن جرمى ، وتملاً وفاضك بأى مال هو مرادك وتبلغ بشارة الإعتاق إلى سمع الاسترقاق وقد قال تعالى : (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) ، فقال غراب : وقعت فى هذه المعضلة بسبب أربعين بدره من الذهب وأنت تعلم أن ليس

من محابة ومدارة بين الرجال فى ميدان النضال . اعذرنى فلم يكن لى بك معرفة سابقة ، وقد صارت اليوم مودتك هى اللاحقة ، ولو أنى لم أبذل فى يوم الاعتراك وساعة الاشتباك ما بذلت لكنت الآن دفيناً فى ثرى الفناء دافنا وجهى فى نقاب العناء ، ويحكم أصالة نسبك وجلالة حسبك فرعاية منصبك على واجب ، وحق أيادى الملوك فى ذمة الأحرار فرض عين ، وتوجيه هذا المال لتحصيل الآمال قرض ، وسوف أقرضك ما أحببت من مال لكى تسلم صديق العروس وتسلم من محبس الفلك المعكوس ، وأزال بالاعتذار والاستغفار الغبار الذى علق بقلب الأمير وأجال بأنواع المراعاة ولطائف الكرامات بمهجة السعادة ورتب له الجواد والسلاح والجنيية والخدم والحشم وسار فى ركبته إلى حضرة ملك مصر ، ولما رأى الملك العريس بطلعته البهية وهيأته المعتدلة ويقوام تام أظهر مسرة بلا نهاية لمشاهدته وأصدر بهجة بلا نهاية لقدمه فقام بلوازم الإعزاز ومواجب الاهتزاز وعد حضوره من مساعدة السعادة واعتبر وصلته من نتائج السيادة ، وقال لأركان الدولة : العهد هو عهد اليُمن والبركات والسعد الأكبر بطالعنا علاقات (اليوم خمر وغدا أمر) :

اليوم هو عهد الانبساط والأمن ومضى عهد الجموح والنفور ولما دقت آثار السعد خيمتها بالصحراء خارجاً

فألوجب أن تخرج خيمتك إلى الصحراء

وأمر بإقامة الولائم والأفراح بحيث اجتمعت بها لذات العالم
واستمتعت بها الأرواح والأشباح وتزينت مجالس البيوت
بالأقتراح المرصعة والبسط الملمعة . مازجت ريح الرياحين والراح
الأجسام والأرواح وتعلقت ذؤابة الصبوح الصباحى بقهقهة القينة
و الصراخى ، فدارت المشارب الهنية التى تلقى نسائمها الباعثة
على الحياة بدوران الفلك فى شمالة المدام ، وارتفعت المغانى الشجية
التي تنزل ألحانها العذبة بنشيد الزهرة فى ضحالة المقام . امتزجت
الخطوط النيلية من عرق حرارة الشراب على وجوه الجوارى
كالبنفسج والشقائق النعمانى ، وازدوجت صفائر طراتهن من
حركة الصبا وتأثير الصهباء على طلعات الغلمان كالمسك والياقوت
السلطاني ، فاستخف الجزل كل قلب من عشق حبيب له واستثقل
كل رأس من بخار مشروب له ، خلصت عناصر الفرح بتدوير
الكأس والقدح الأرواح فى القوالب من مخالب التوائب ووضع
نظر اجتماع السعود بالعنبر والعود على مجمر الشهود، وكان كل
فتى وساقى فى طلب الحاصل والباقي يقول شعرا :

عجل بالمدام يا قمرى فإن كاسات المدام

صلوات اليوم عقيقا وغدت الخلود من لونها بلون الكلس

وبعد ثلاثة أيام منح الأمير خدعة رفيعة وقدم له كثرة من
نفائس الجواهر والدرر ولطائف البر والبحر حتى يخير معدن بحار
الماء وتفكر نجم السماء الزهراء : متى ولدت مثل هذه العجائب

ومتى بذت مثل هذه الغرائب ، ثم قيل للحكماء أن يختاروا الطالع الميمون والنجم الهمايون لكي يرتبوا به الزفاف والشار . . وفى اليوم التالى حين جلسوا فى مجلس الشراب ليقتضوا ساعة فى السعادة ويمضوا لحظة فى اللذابة نهض الأمير من مجلس الشراب حتى يستريح برهة من شراب الأقداح المتواترة ويسكن هنيهة من التهاب الشراب بنسيم ماء ورد البستان وحلاوة جلاب خضرة المكان؛ ففرش فى الحال الغلمان فرشاً بالديوان الخاص وأتوا من بيت الشراب بالمبردات والمفرحات وأحضروا ما يدفع بخار الخمار من مشموم ، وما يجمع اللطافة مع الخفة من مطعوم ، وأرجع الأمير الغلمان وأخذ يطوف بمفرده فى أطراف البستان وأخذ يطلب فى بستان الطلب الأزهار بلا مزاحمة الأغيار ، فرأى إذ ذاك قبة منصوبة وصفة منقوبة ، فتطلع إلى تلك القبة لكى يرى أى مترىض هذا أو أى روض هو ، فسمع صوت نسوة مبتهجات بذاك العرس بحكم الطرب وسمع لحن المطربات وهن مسرورات فى ذلك الزفاف بحكم الانبساط ، وعاین شقا فوضع عليه عينيه حتى يشاهد حرائر مصر وينظر خواتين العصر وكانت عروسه قد توشت بالجواهر والحلى والأكسية والحلل وجلست بين نسوان مصر العيان ؛ فظل واضعاً عينيه على ذاك الشق ينظر وفجأة وقعت عينا الفتاة على ذاك الشق ، فقالت لعله غريب أتى ليطل على المحارم أو جاسوس يرى العروس ، فأمرت خادما فأحصى قرنين من الحديد وغمسهما فجأة فى عينيه ، وصرخ

الأمير وسقط مغشيا عليه ، ولما سمعوا صوته خفوا فى الحال
فأوا الأمير بطلت عيناه النرجسيتان واضمحلت سواد حدقتيهما
وتركيب طبقتيهما ، فارتفع الصراخ من سرايا الحرم وانقلب
أولئك الخلق السعداء إلى مكروبين ، وأولئك الجمع المسرورون
إلى محزونين ، وتحول الفرح إلى ترح ، وتبدل السرور إلى هم ونفور ،
نرجسه المخمور ضنا بشوك النوائب ، وهذا من عجائب الأيام .

وفى نهاية المنقلب انقلب إلى والده بعد مدة مديدة حزينا
كمالك الحزين ومعه عروسه فى هودجها وقد فارقت الروح
الباصرة التى كانت تريض الحديقة الصديقة ، وتفرق اضطراب
بصره الذى كان يأخذ ارتفاع النظر ، أصابت عينيه عين سوء
وسملت باصريته آفة التعجيل .

القصة ، صارت عينا والده فيضان غما لعينه واحترق
وانشوى قلب الوالد هما لقلب الوليد وقال : يا روح والدك كل ما
يظهر بعد القضاء الربانى بسبب التعجيل الإنسانى ، ولو كنت
تصبرت فى صحن ملكتك ومركز دولتك لأبلغتك عروسك وما
رأيتك فى هذه المحنة ، ثم قال بختيار : أيها الملك لا تعجلن إذن
بقتلى لأن العجلة عاقلتها الندامة والأناة نهايتها الكرامة ، ولما بلغ
بختيار بالكلام الختام وبالحكاية الإتمام أمر الشاه بحمله إلى السجن
وإمهاله حتى الغد ، فتحير بختيار ، فأى طالع هذا نصيبه الحبس
وأى زمان هذا خلاصته النحس .

ولما أفضت نوبة حبس بختيار إلى يومها السابع بلغ تظلم وزراء الملك إلى الفلك السابع ، فأتى إلى الملك الوزير السابع وقال : أدام الله الملك ، هذا الطفل فى كل ليلة يرتب أعاجيب الأكاذيب بقوة فطته وهى من خصائص فطرته ، ثم يتخلص فى اليوم التالى بهذا التشيب والتركيب من العقاب ، وللملك خلق كريم وقلب رحيم وحين يلمس فصاحة لسانه وقدرة بيبانه يأمر بامهال العقاب فلا يجب تركه اليوم حتى يجعل نفسه عندليب النظم والشعر وخطيب الدهر والعصر ، فمر حتى يعاقب سريعاً لأنك إن انشغلت بسماع أحداث كلامه واستماع أضغاث أحلامه تأخر هلاكه وتقرر بقاؤه ؛ فأمر الشاه بالإتيان بختيار من الحبس وأراد الكلام فصرخوا به ، فقال : أدام الله السلطان إن شرف الإنسان فى قوة البيان ، وقال تعالى : (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) وسماع ظلامة المظلوم من كمال العدل والإحسان والفضل ، وقال النبی علیه السلام : (استماع كلام الملهوف صدقة) ، ثم قال : للسلطان نفاذ الأمر وإمضاء العقاب يتيسر له ذلك وقتما شاء ، فأمهلى حتى لا يجرى لك ما جرى للشاه (بهكرد) من الشاه (هماي) ؛ فقال الشاه قص قصتهما أسمع لك .

الباب السابع

قصة الشاه بهكرد والحوادث التي أصابته من الزمان
والمحن العديدة التي عاناها .

أطلق بختيار لسان البيان وبدأ هذه القصة بقوله : أدام الله
الملك وأطال حياته ، كان قبل هذا الزمان الدائر ملك جائر ، كان
ملكا بغير إنصاف على بساط هذه المرحلة للإتلاف ، كان يذوى
بظلمه البلاد ويشوى بجوره الأكباد واسمه بهكرد - أى فاعل
الخير - لكن لم يكن تحت ظلال السقف اللازوردى من يفوقه
ظلما ، جمع الخزائن بلا عدد والدفائن بلا حد من أموال اليتماء
وذخائر الكرماء واسترق أميرا كان اسمه تيز هوش ، كان من دوحة
ملكية وشجرة سلطانية ، وكانت تبدو عليه أماراة الإمارة والعرق
الظاهر للسلطة والأصل والنسب للملوكية ، وكان الملك قد
وضعه على هيئة العبيد ، فعود طبعه العديم الإنصاف على
الاستخفاف به وغلبت نفسه الأماراة قلبه العلامة ، ولم يكن يخبر
أن الظلم أوله أعراض وآخره انقراض ، ولم يكن يدري أن العدل
ميزان الله بين العباد وهو فى الآخرة خير زاد . وقصد يوما الملك
المصطاد واصطحب معه الفهد والبازى المطيار والشاهين الطيار

وأركب معه جمعا من الغلمان فكانوا يصيدون التدرج الملون فى أطراف المروج ، وكانوا يمسون القبج والطيهوج والأرنب والغزال فى الصحراء والبيداء ، وشاء الله أن تيزهوش رمية طيرا بسهم فأخطأ السهم الطير وصلم أذن الملك ؛ فقبض فى الحال على تيزهوش وقيد وصفد وأمر الشاه بفصل عنقه ليكون عبرة للعالمين وموعظة للمفسدين ؛ فراح تيزهوش وتدحرج فى التراب ووضع جبهة التضرع على تراب التخشع وحثا تراب ندامته على فرق غرامته ، وقال : يعلم الملك أن هذا الفعل كان على سبيل الخطأ ظهر منى من تأثير القضا ، فلا تبطل كليات عفوك وهو مستند العالمين فى مقابلة خطئى الجزئى ؛ لأن عفو السيد إنما يظهر لمقابلة ذنوب العبيد ، فإنى العبد الذى إن كان قد اقترف ذنبا لم يقترفه أحد فى العالم ، فأنت السيد فاعف عفوا لم يعفه أحد حتى اليوم من أبناء آدم :

إن أنا اجتريحت ذنبا لجهالتى فاعف عنى أيها الشاه ما استطعت
يستوجب العفو الفتى اذا اعترف بما جنأه وانتهى بما اقترف
لقوله «قل للذين كفروا إن يتنوها يغفر لهم ما قد سلف»

فترحم الملك على تيزهوش وشطب بخط العفو جريدة جريمته وسحب ذيل عفوه وإغضائه على ذلته وحالته ، وكان لتيزهوش هذا أب كان يقال له الملك هماى ؛ فلما اختفى تيزهوش أرسل الباحثين عنه ليل نهار إلى كل الأقطار وأجلس المترصدين على

رأس كل طريق ومسار ، وكان كل من يطلب مقابله يظنه مبشرا
بعودة ولده ، وكل من كان يخف لرؤيته يحسبه رسولا من فلذة
كبده ، كان يناجى بقلبه الكتيب ابنه الحبيب إذا ما سمع صوتا ،
وكان يثقب دموع الحسرة بالملاس الحيرة إذا ما رأى شابا ، وحدث
أن رسول الملك همساي لما وصل دار ملك الملك بهكرد رأى
تيزهوش فى سماطين الغلمان خاضعا ويديه المعقودتين على صدره
واضعا ، فاهتبل فرصة وأبلغ سلام والديه إليه ، قال : مضت
سنوات وأنا أبحث عنك فى أطراف العالم ، والآن قد وجدتك
فلا بد لهذا الألم من دواء ولهذا الهم من انقضاء ، وإن باعك
اشتريتك بأى ثمن ارتضاه وإن وهبك قبلت منه عطاء ، فقال
تيزهوش يمكن معالجة حوادث الأيام بالمدارة ، ومداواة الآلام
والأسقام بالصبر والمواساة ، ولعل فرصة تسنح أجد فيها لنفسى
من قيد المذلة خلاصا أو تدييرا أطلب به من هذا الرق مناصا ،
وليس بالتهور والتعجل تحصل على ما تريد أن تحصل ولا يمكن
تحقيق الأمنى بغير الصبر والتأنى ، وذات ليلة عقد قلبه على
عزيمة الفراق وشد رحل (الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين)
على مركب الاشتياق ، وبعد تصميم العزم وتأمل الحزم توكل
على الخلاق (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وفى النهاية أبلغه
اللفظ الربانى والفضل الرحمانى إلى موطنه ومسكنه ونور بواصر
والديه بوصاله ، وفى اليوم التالى أخبر بهكرد فعجل بالفرسان
إلى كل مكان فلم يجدوا لتيزهوش أى عنوان ، وحدث بعد مرور

الأيام ودورة الأعوام أن قصد بهكرد الصيد فظهر له غزال فهمز
الملك جواده فانطلق الغزال يعدو والملك فى أثره مجذاً ، وبلغ
الغزال ساحل البحر فألقى بنفسه فيه ، فرمى الملك بنفسه فى
البحر فى أثره ، فظل الجواد يسبح بقوته ويعوم بأمل نجاته لكن
حيلته لم تفد مع تلاطم الأمواج وهيبته البحر الأجاج وهلك فى
النهاية الجواد وأخذت الرياح تحرك ذاك الجواد الهالك ، وقد عقد
بهكرد يده بذنبه ويطوف معه حيثما طاف ، وفى النهاية هب ريح
عاصف وهواء قاصف فألقى بهكرد وجواده على الساحل ونظر
الملك فرأى مدينة على بعد فقال الحمد لله اذ رأيت مصرا ووصت
عمارا وانطلق حتى وصل المدينة ، وكان النهار قد بلغ المغيب والليل
بأقرب القريب ، سقطت الشمس فى منقار غراب الغروب وشق الليل
النقاب الأكدر عن وجه الكواكب والقمر ، ودخل بهكرد المدينة
لا يعرف بها طريقا ولا يألف بها منزلا ، وكان ينشد هذا البيت :

إلى متى يظل الليل فى ليلتنا هذه منزلنا

وأين الغد الذى يحل بلطف مشكلنا

فرأى دكانا مفتوح الباب ، فقصده ونام على مصطبته ، وكان
لتاجر له مال ونعمة وأنواع الثروة ، وفى تلك الليلة أتى اللصوص
إلى الحجرة بأعلى الدكان وقتلوا التاجر وحملوا أمواله ونقده
فاتحطروا دم التاجر من الحجرة بأعلى الدكان وخضب عباءة الملك
النيسان :

لى فى كل لحظة هم مستجدد

ويتشب بى مائة سهم جفاء بليل مسود

وشاع الخبر فى الصباح وعمت المدينة الضوضاء فانطلق السكان
لإمساك اللصوص فوجدوا بهكرد بعباءته المخضبة بالدم ، فاستأسروه
وقالوا وجدنا السارق والقاتل ، فأتوا به فى الحال تجلله آلاف المذلات
والعقوبات إلى الملك هاماي أبى تيزهوش فأمر بإيداعه السجن :

مسكين من اشتبك بالأم الدهر أجل ليس من قضاء السماء مفر

ولما حبسوا بهكرد كان بجوار المحبس ميدان يعدو به الملك
بجواده ومعه الفرسان ، و يتلاعبون به بالكرة والصوبجان ،
وخرج يوما الملك إلى الميدان ووافقه ابنه تيزهوش ورافقه بالخدمة ،
ومن تأثير القضاء طار عصفور من الفضاء وحط بأعلى جدار
السجن ، ونشط يشدو بنغم يثير الشجن ، فألقى بهكرد العصفور
بطوبة ، فأخطا الطير وأطار أذن تيزهوش ، فعدا فى الحال
الغللمان وحققوا فى الأمر فسمعوا المساجين يلعنون بهكرد ويندبون
حظه وقالوا : ما أشنعك من شخص لا يتولد منه غير الضرر ولا
يتجدد منه سوى البغى والشر ، وحمل بهكرد إلى الملك هاماي
وأحضروا الجلاد وعصبوا عينى بهكرد فنظر الملك هاماي إليه
فوجده مصلوم الأذن ، فقال لغلمانه ما أكثر الفضائح والقبائح
التي ارتكبتها هذا الرجل حتى قطعوا أذنه ؛ فقال بهكرد حانت
الساعة التي أودع فيها حياتى الأولى وحان الوقت الذى ألحق فيه

بالمولى ، اعلم أننى كنت ملكًا له حشم مريع وخدم مطيع غير أن
دعاء المظلومين أصابنى فأزال سعادتى وبختى وملكى وتختى ،
هوت كواكب أملى فى إدبار الهبوط وانحدرت سفينة نجاتى إلى
غرف القنوط ، فقال : ولماذا صلمت أذنك ؟ قال خرجت يوما
للصيد وكان لى خادم اسمه تيزهوش ، وكان يقول إنه أمير زال عنه
ملكه ، و مضى عنه تملكه :

طعمت بمراد قلبى الدنيا لحظة لكنى الآن راض بما هو كائن

ورمى هذا الخادم فى مصطادى طيرا بسهم فأخطأ السهم
وصلم أذنى فى رأسى فقابلت منه السهو بالعفو وسلكت طريق
المجاملة مع خطئه ولو كان فاحشا ، ولما علمت أن شراب العفو
شراب لذيذ خاصة من يد مجرم بلغ الخوف على حياته أجله
وصار نهاره ليله فأقللت لى أذنا ولم أعرك له أذنا وهذه قصتى
قلتها فإن تعاقب فلك الحكم ، وإن تسامح فلك الحمد ، ولما
سمع الملك هاماي هذه الكلمات أرسله فى الحال إلى تيزهوش ،
فلما رآه تيزهوش قبل الأرض بين يديه ، وقال ما الذى حدث لك
أيها الشاه العظيم والملك الكريم ؟ وما الذى جد عليك ؟ أى لون
خلطه لك الفلك المشعوز وأى نقش خطه لك الزمان المنبذ ؟
فقال أجل نظرك إلى حالى يغنى عن سؤالى :

عايئت من دورة الزمان وعجائبه	ما أعجز عن شرح نوائبه
فملك العالم فيه ألم وورده شوك	وعزة وذل وراحته تعب

فقال تيزهوش : وكيف وقع قتل هذا التاجر ونومك بدكانه
الفاخر ؟ فشرح بهكرد ما جرى وكان يتحدث حين وصل جنود
الملك قابضين على أولئك اللصوص ومعهم ما نهبوه من مال
وأرسلوا بهم إلى السجن ، وأمر الملك هاماي فأنزل بهكرد في
قصر رفيع وروض بديع وعين له الندماء الظرفاء والمسامرين
اللطفاء لخدمته وأرسل له من الكساء الأطلس والششتري
والجوارى كالزهرة والمشتري .

وجلس يوما بهكرد والملك هاماي وتيزهوش في مجلس
سرور وموضع حبور دارت فيه الأقداح بالصبهاء وتواترت فيه
أمداد الهناء ففاضت عينا بهكرد بالدموع ، فقال الملك هاماي :
المجلس مجلس استعاد والوقت وقت الوداد فماذا حدث حتى
فاضت منك الدموع اللهم إلا حنينك إلى الوطن واشتياقك إلى
المسكن قد حرك فؤادك ؟ فقال : ليس لهذا السبب ، ولكنى أتمعن
فى صنع الله وقدره الرحمن كيف يرتب لكل معاملة مجازاة
ولكل فعل مكافأة ، فإن كان تيزهوش لأيام عديدة أسيرا لدى فقد
جعلنى الحق تعالى أسيرا لديكم ولو أن تيزهوش صلح أذننى خطأ
فإنى قطعت أذنه سهواً ، وإن كنت عفوت عن جنايته فقد غفرتم
ذلتى هذه لكى يعلم العالمون أن لكل شجرة تغرس فى روض
الزمان لا تبطل ثمرتها وكل بذرة من خير وشر تودع الأرض لا
يضيع ريعها :

الخير يبقى وإن طال الزم أن به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

قال بختيار إذاك : إذا لم يسبغ الملك هامى لباس عفوهِ
على الملك بهكرد بمجرد أن زلّ وعجل له العقاب لكان قد ظلمه
وجنّفه بل أبقاه بالسجن حتى امتاز الحق عن الباطل وانحاز الكامل
من الخامل ، قال تعالى : (ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من
حيّ عن بينة) لم يخطُ أحد في هذا العالم خطوة في تمهيد الخير
والشر وتقرير النفع والضرر إلا ورأى جزاء ما فعل ولم يصبه وفاق
ما جعل فلما عفا بهكرد عن سهو تيزهوش فلا جرم أن عفوا عنه ،
فإن يتأن الملك في عقابى فإنى واثق بفضل بارئى من ظهور براءتى .

ولما وصلت قوافل الكلام إلى هذه الخطة وبلغت وقائع
الحكاية إلى هذه النقطة أمر الشاه بإعادة بختيار إلى السجن
وإيداعه منزل الحزن وحسن الحاصرون اللطفاء هذه الحكاية وأثنى
الندماء على هذه الرواية .

وفى اليوم الثامن حين كسا الشعاع المزين للشمس العالم
بالأكسية النورانية أتى عرش الملك الوزير الثامن ، وكان مشير
العدل وسفير العقل وقال : أدام الله السلطان أمام الكلام الذى
بلا قوام من هذا الغلام تأمر له بالتوقيير وترى فى إقامة عقابه
التأخير ، وهذه المقدمات للملك سبب المضرة وهذه الحالات للرعية
موجب الجراءة ؛ فقال الملك : قولوا للجلاد أن يدبر أمر فصل
العنق عن الفقار أو يرتب الرجم بالأحجار .

فقال بختيار : أبقي الله السلطان لا يجدر ترك التانى فى
مقابلة التجنى ولا يليق العقاب للأبرياء لقول حُساد أدعياء ؛ فقال
الملك تقول مستورات الحرم إنك كنت تلقى الحجر من فوق
السطح وترمى الغدر والمكر من أجل الفضح ، فقال بختيار : أيها
الملك للنساء كيد عظيم ولناقصات العقل غدر أليم فلا يجب
إهدار الدم للمظلومين لمجرد أقاويلهن ولا يليق آثار غبار الظلم
بسبب أباطيلهن ، وإن يسمح لى الشاه أقصنَّ عليه قصة فى هذا
المعنى ، فقال الشاه : أسمع وفائدة الحكمة أجمع .

الباب الثامن

قصة الملك داد بين ، وتشتمل على قصة مكر النساء
وأنواع غدرهن

قال بختيار : أبقى الله الملك المكرم وأدام الشاه المنعم فى تواتر الإقبال وترادف الكمال ، كان فى قديم الدهر ملك موصوف بجمال العقل وكمال العدل معروف بالعهد والميثاق ومكارم الأخلاق وأولياء دولته فى بساتين النعمة وأعداء مملكته فى مضايق المحنة ، كان يجالد بسيفه لمدة مديدة بجيوش شديدة فى إيران وتوران حتى تهيأت مملكته وتهنأت ولايته فصار أعداء المملكة مقهورين وغدا خصوم دولته مهجورين وزالت القلاقل وصارت الأمور بما تشتهى القلوب ، فأمضى ليله ونهاره فى شغل بلذته ونهمه وفى ملل من حشمه وخدمه ، وإذا لم يلتفت الملك لحشمه وخدمه انقطع عنهم عطاء وصلاته وامتنع عنهم رواتبه ومرتبته ، وصار من كان له يسار يمضى أيامه فى افتقار ، ومن كان له تمول يبدى التمحل وأخذ بعضهم يقول للآخر : ليت خصما يظهر للملك حتى ينتهى كسادنا إلى رواج ويقع بالملك لنا احتياج فهو فارغ البال منا ممتلىء الرأس بالمتعة ، عمله تجرع أقذاح الشراب

وشغله سماع الأرغن والرباب ؛ فأتوا الوزير وقالوا : رأى الوزير سبب تمهيد مصالح الخدم وأساس ترتيب مناجح الحشم لا ينظر إلينا الملك فخضعنا بسبب الفاقة وعجزنا من جراء الفقر ؛ فقال الوزير : ابذلوا فى هذا الأمر صبرا حتى ننظر فيه نظرا ، تملك جملة أقاليم العالم إلا إقليم الروم بسبب بعد الشقة وكثرة المشقة ، فتأخر فى هذا الفتح ، وسمعت أن لقيصر الروم ابنة هى فى الجمال غاية الحسن وفى اللطف مرهم الحزن فإذا مضى هذا الرأى انقضى مأمولكم ، وفى اليوم التالى أتى حضرة الملك وبدأ فى مجلس الخلوة الحديث عن أطراف المملكة فأخذ يقرر له حديث ملك الروم ويدبر له استخلاص تلك التخوم وقال : أيها الملك جعلت الأطراف والأكناف ملكا لك ونصبت سرادقات الأمر والنهى فى البحر والبر فإن تحول زمام فتحك إلى الروم سار صيتك العظيم على لسان كل كليم ودخل هذا الملك القديم فى تصرف الملك الجسيم ، وأنهى الجواسيس بأن للقيصر ابنة هى فى الخلق فهرست الكمال وفى الخلق لطيفة صنع ذى الجلال ولا تليق إلا بحضرة الملك . ؛ فلما بلغ سمع الشاه حديث ذاك الجمال والدلال جاشت فيه همة الحصول عليها وثارَت فيه نهمة الوصال والوصول إليها ، فكتب الرسائل : صار فى معلوم العالمين أنى طوعت بسيفى ملك البسيطة من حد الشام إلى أقصى الصين واستوليت بثبات القدم على جهات العالم ، فلم يعد فى ملكى مزاحمة ولا فى دولتى مخاصمة وحيثما ظهر شك عداوة اقتلعناه ووقتما بدا

شك مخالفة دفعناه والأمل أن يقع بيننا مواصلة وتحدث دائما مراسلة ، وقال للرسول : حين يقرأ الرسالة قل له إنى لكريمة الملك خاطب وفى دولته وسعاده راغب وكل ما يحكم به من الخزائن والأموال مبذول وكل ما يشير به من الملك والولاية مقبول ؛ فلما بلغ الرسول تلك الجهات وأبلغ الرسائل تغير القيصر ومزق الرسائل وقال : ابتى لا أعطيها لكل غمر وخامل ولا أحمل هذا العار على الكاهل ، فخبجل الرسول ومل وعاد وقال : فى بلادنا عين القيصر ضئيلة وسلطتنا عنده ذليلة ، فأجابنى باستهزاء واستخفاف ولم يبد شيئا من الكرم والإنصاف ، ففتح الملك خزائنه فى الحال وفرق على العسكر المال الأكبر وقال رتبوا أسباب الحرب وأعدوا الحول والخيول وألقى فى مقدمة هذا الأمر حبال التدبير مع كل وزير وأمضى عزيمة الفتح والتكسير ، وأرسل الشاه جيشا عظيما طليعة له وقال : إذا وصل حد الروم وقت أن يتخضب الرداء الفيروزي للسماء بعكس لون سيوفكم السافكة للدماء ، ويتقلب الشجر والمدر لتلك الديار من سفح دماهم إلى لون العظم فلم يسر شرا بكم إلا دماء الأوداج وليس عملكم غير الإغارة وقطع الفجاج .

فلما وصل الجيش إلى تخوم الروم وضعوا فيهم السيوف وأعملوا فيهم الرماح وجعلوا الطيور فى فضائها تبكى قتلى الصحراء وسلقوا الأسماك فى مائها بنار الهيجاء فبعث القيصر بطريقا بمائة ألف فارس متنكر للمباغته ليلا والكمين والاستار وأخذ

القصاص والثار ، فتواجه الجيشان فى مقابلة وتواقع المبارزون فى
مقاتلة ولما دخل السنان مع السنان فى مسارة كتمان والسيف مع
السيف فى طيران ، وطيرت الطيور الجمادية الصورة ، الحديدية
المنقار ، الحيوانية الطيران ، المدورة الطبع ، الطويلة الطبيعة ،
الخشبية الفم ، الغراية الجناح ، العقاية الارتياح ، الأرواح الحية
من الأعشاش الواهنة للإنسانية العاجزة على عمر نصف الدائرة
المحكمة الطاهرة اللباس العظمية القلب الخشبية الجسد ، وأخذت
رياح النكباء من مهب القضاء تثير التراب فى وجوه الروم
وتقذفهم بالأسنة القاتلة من ذرات الغبار فانهزم فى الحال جيش
الروم و انهدم أساس القيصر ، قال تعالى : (فهزموهم بإذن الله
وقتل داود جالوت) فقدم البطريق إلى القيصر وقال : ليس من
المصلحة المحاربة مع هذه الجماعة فكل منهم (رستم) حرب
امتطى صهوة فيل بل ضرغام بيده حسام ؛ فلما سمع القيصر
كلمات البطريق استدعى وزراءه وحكماءه ، وقال رأيكم يعرف
علاج أمراض الملك وعقلكم بمكته حل المشكلات ، فيجب غرس
غصن المصلحة التى لا مناص منها وينبغى قراءة رسالة المساهلة
التى لا فوت منها ؛ فقال الجميع : المصلحة أن تؤسس بوجه
المناكحة المواصله وتمهد بين الملكين المصالحة ؛ فأرسل القيصر
رسولا كاملا ومعه جماعة شيوخ حكماء عرفاء إلى الشاه ،
فبالغوا له فى الاعتذار وأبلغوا الهدايا والتحف الكثار ، وقالوا لو أن
سعادة الملك بنكاح كريمة القصر فعقدها وقتما يشير ، إنه لموثوق

وعهدا إنه لمعقود ، وفى اليوم التالى رتبوا نثار العروسين وأرسلوا البنت بجهاز يشتمل على لطائف البحر والبر ومزين بنفائس العصر وعرائس الدهر إلى الشاه : (وافق شَنّ طبقه وافقه فاعتنقه) ، وكانت هذه البنت قد زوجها من قبل بزواج فولدت له ابنا وقتل الأب فى الحرب ، فقال القيصر لابتته يجب ألا تظهرى أمر ولدك لأن أنسى بشمائله وسعدى بمخائله :

الآن صار الأمر على اتفاق بيننا ولن أستريح فى هجرى إلا به
ولما شاهد الملك جمال تلك المرأة افتتن بلطف صورتها وحسن هياتها وقال : وصال هذا الجمال عنوان الدولة والنظر إلى هذا الخدّ فال السعادة :

يامن بحسبك وجمالك ولطفك لم ير أحد من يشابهك فى العالم
وإنى لأعجب من امرئ يــــراك فيفنى
فأرسل إلى القيصر على سبيل الهدية ما كان بالخزائن من طرائف المعدن والبحرين وما بدار السلاح من سلاح وغلمان وعاد إلى البلاد بفؤاد ملؤه الإسعاد ، وأخذ يمنح بكل يوم خلعة عظيمة لزوجته لإسعادها أو درج جواهر لإفراحها ، لكن المرأة كانت تسرى بها نار الاشتياق لابنها الوحيد، وتبكى فى خلواتها لغاية التمنى ونهاية التعنى ، وفى النهاية صار قلبها من الفراق بلا طاقة وروحها من الاشتياق بلا استطاعة :

إن يوم الفراق قطع قلبى قطع الله قلب يوم الفراق
لو وجدنا إلى الفراق سيلا لأذقنا الفراق طعم الفراق

وأخذت تفكر فى ليلها ونهارها بقوة الفكر وتحريك الشوق
فى حيلة تحصل بها على ولدها وتصل بخيالها إلى جماله .
وذات يوم طفقت تشرح للشاه عن أيها الملك وتقص له أنواع
الغرائب والبدائع التى بخزائنه ، ثم قالت : لأبى غلام فى
طفولته له عقل الرجال وفى عهد صباه قوة الأبطال صار فى آداب
السلاح آية وبلغ فى أبواب العلوم الغاية ، أعجوبة الدهر ونادرة
العصر ، فقال الشاه ، لو طلبت هذا الغلام فهل يرسله ؟ قالت :
لا يمكن ذلك لأنه أحب إليه من نفسه ، ولكن لو رغب الشاه هذا
الأمر فلدى تدير وهو أن أحكى صفته لتاجر فيأتى به إلى هنا
بالوعود الجميلة ؛ فأعطى الملك الأموال الوفيرة للمتاجرة إلى
تاجر حاذق وماهر كان يحذق العسرية والرومية وطوف فى
أطراف البلاد تطوافا وطوى المشرق والمغرب ورأى الربع المسكون
وخبر أسرار هذا الفلك المكنون ، رآه ثاقب ومكره صائب ،
وأبلغت ابنة القيصر التاجر سرا بأن هذا الغلام هو ابنها ولا بد أن
يحملة على محمل الإكبار ومهد الإيثار ولا يهمل فى الطريق
دقائق الاحترام وأنواع الاحتشام ، وأن يقول له أن أمه تطلبه وإذا
بلغ به هذه الديار جعله فى زى الغلمان وطوى هذا السر طوى
الكتمان .

ولما وصل التاجر إلى بلاد الروم أزجى فى فرصة لطيفة رسالة
الأم إلى ولدها ففاضت عبراته وقال : إنى لأسعد إذ تذكرنى ،
فحكى له عن شوق أمه له فقال الولد : رحيلنا يتعذر فى العلن ؛
فصنع التاجر صندوقا وضعه به وحملَ جَمَازة به وعجل بها حتى
فارق الروم واتصل بديار العراق وطوى مراحل الفراق إلى منزل
الوفاق ؛ فلما بلغ دار ملك الشاه ألْبسه كسوة فاخرة ، فلما وقع
نظر الشاه على صباحته وفصاحته أعزه كثيرا وكانت أمه تشاهده
عن بعد وتستريح لمجرد النظر إليه :

وليس لنا من اللذات إلا أمانيتها ورؤيتها نصيب
لما فكرنا كثيرا فى اجتلاء طلعتك قنعنا بالنظر إليك من بعيد
كانت تنظر إليه من بعد ويضطرب قلبها بباطنها فلربما لا
تسنع فرصة تحادث فيها عينها وقنديلها أو تشتم من جنة عذاره
ريحانها ، وفى يوم من الأيام خرج الملك إلى الاصطياد ، وخلقى
الحرم من إزعاج الأغيار واستولى ضرام الشوق على قلب الأم
المضار فاستدعت الأم ولدها فى سانحة إلى سراى الحريم ،
وفرحت قلبها بنسيم قربه والترحيم وروحت روحها من شراب
وصله ؛ فاطلع حاجب على ما جرى وقال : حرم الملك مركز
الأمانة ورؤيتى وعدم مقالتي من الخيانة .

فلما عاد الملك من القنص أجرى الحاجب ما حدث على
لسانه وشرح ما وقع فى بيانه ؛ فتغير قلب الملك وتأثر وتوغر

صدره ، وقال : إن هذه المرأة أدخلتني جوال افتعالها وبالمكر والغدر أتت بمطلوبها ومحبوبها من الروم :

دع ذكرهن فمالهن وفاء ربح الصبا و عهودهن سواء
يكسرن قلبك ثم لا يجبرنه ومن الوفاء فؤادهن خلاء

ثم دخل حجرة ابنة القيصر ، مغمصص الفؤاد مجروح الصدر ،
ظهرت آثار التغير في باطنه وتغيرت سمات وجهه من حمية
رجوليته ؛ فلما تفرست زوجته آثار غضبه وتحسست أمارات كربه
علمت بالقرائن أن ما حصل وصل سمع السلطان وسمع كيفية
الأحوال بعد تخطيط كبير وقيل وقال ، وقالت المرأة : ماذا جد
على الملك حتى صار على غير عادته ؟ فقال : هذا الغلام الذى
جلبته من الروم سمعت أنه جرى بينكما اليوم مقالات محبة
ومناجاة سلوة ، ألا تستحين من أنك تجالسين غلاما وتؤثرين
طغاما ، فقالت : حذار أن يجول هذا المعنى بخاطرك ، فضمير
الملوك أعز من أن يعلق به لهذا السبب غبار ، إن اللذة العظمى
للسلطنة فى تنفيذ الأوامر والنواهي وإمضاء الحكم النهائى وليس
على الخدم والحشم إلا تحمل أثقالها ، فإن تصور لك من أى جهة
خيال أو تغير فيك طبع وحوال سارعت بفصل الأعناق بسيفك
البتار وأخليت باطنك من الأكدار ، فإن صدق ظنك فى غلامك
فَمَرُّهُمْ بِإِنْضَاءِ لِبَاسِ لِحْيَتِهِ مِنْ جَيِّدٍ وَجُودِهِ وَإِنْ صَدَرَ مِنْى مِثْلُ
هَذِهِ الْخِيَانَةِ فَأَشْرَ عَلَيْهِمْ بِفَعْلٍ مَا يَقْتَضِيهِ رَأْيُكَ الْعَالِى ؛ فسكن

بهذه الكلمات التهاب غضب الملك وركن عاصف غضبه وأخذ
يتمعن فى جمال زوجته ولم يكن وداد فؤاده يفتى بقطف مثل هذه
الوردة من روضة الوصال وموكل عشقه لم يكن يسمح بخطف
مثل هذا السرور من بستان الدلال . سرو هى البدر عليها طالع ،
ووردة هى الشمس لها تابع ؛ فأظهر العداوة التى كانت مستورة
بباطنه وجعل الغلام هدف سهم غضبه وقال إن سهام الانتقام التى
أخرجها من جعبة الأيام لن يكون هدفها غير هذا الغلام لأن
معشوقه يليق به فرجة النظر وليس إمضاء القهر ، فاستدعى فى
الحال من له طالع المريخ وطلعة زحل ومثال الرأس وصورة الذنب .
شخص كان عقابا لشؤم الأفلاك وعقوبة لسم العوالم وسلم قمر
ذاك الزمان والأعجوبة الفريدة لذاك الأوان ، وكان تدرج الروضة
الفرد ويلبل بدائع العهد ودوحة الروضة القيصرية وزهرة الأشجار
الرومية ، إلى يد مالك جهنم وزبانيته عالم العقوبة والألم وقال :
الليلة لابد أن يصير نهار عمره ليلا والصبح لابد أن يكون لنهايته
أولا ؛ فأتى الحاجب بهذا الحبيب الفريد إلى منزله وأراد بسيف
العقاب أن يفصل عنق هذا السر الغض فهطل مسحاب الحزن
الناصب من عين الحاجب وأنارت شمس رأفته من عين نقمته
وأنزل اللطف الإلهى نظرة إلى قلبه المتحجر وهتف به : ضع هذا
التدرج الملون من منقار النقار وأزل مخلب الغضب عن جناحي
الطلب له ولا تقطف الغصن الرقيق للورد فى شتاء المحنة لأن
مشاطة الربيع لأجله تنتظر ، ولا تلق ورقة البنفسج اللطيف إلى
يد الثلج ؛ لأن الصنع الكلى له مصور :

لا تخطئ في حق الرجل إذ تراه وحيداً

فوراءه ينتظر جيش كثيف من الفرسان

لا تنظر إلى القلب وهو بشكله الصنوبرى بل انظر إلى معانيه
العزيزة ولا ترد المسك إلى حقارة الجلد والنافجة بل انظر إلى
قيمته الغالية ، وظل الحاجب يقرأ في دفتر جماله طوال الليل
ويتلو آيات الإمارة من صحيفة جبينه فرأى نور المجد يتلألأ من
جماله وعاین آثار الملكية تتلمع من وجهه واعتداله ، فقال له
الحاجب : أيها الصبي ألم تعلم أن حرم الملوك حريم الأمانة لا
جحيم الخيانة ؟ ألم تدرك أن الأرض المزروعة بشوك الخيانة
يحدثونها بضرب الفأس والمعول لا بالمراعاة والتحمل ؟ فقال
الصبي : اعلم أنني فرع من شجرة بستان سلطنة الروم ولست
شوكة من ملاحاة الخيانة واللوم ، وكانت أمي تستحي بحكم دعة
طبيعتها من الملك أن تقول له : لى ولد بلغ هذا الحد وسرو علا
هذا القد ، وكانت تستر حقيقتي وتكسر قلبها خشية أن ينفر منها
طبع الملك أو يضجر بها قلبه ، لم تعلم أنه لا يمكن إخفاء المسك
والعشق ، لا يطول الأمر بالورد فى أصيصه ولا يستريح العريس
ساعات فى نصبتة بدون عرومه ، كانت أمي تود بتكلف منها أن
تخفى شمس عشقى ولم تعلم أنه لا يمكن طلى الشمس بالطين ؛
فلما رأتني بذاك اليوم تحرك قلبها بحب الأمومة فاحتضنتني لغاية
الاشتياق وقوة غصة الفراق فصارت تلك الحالة سبب هذه الآفة
وتلك الحادثة سبب هذه البلية ؛ فلما سمع الحاجب هذا البيان

اندفع بقلبه الحب والحنان وتعجب من حوادث العالم واضطرار
أولاد آدم فكل إنسان يلعب فى مضيق حسرة بنرد حيرة، وكل
صاحب واقعة له فى بيت الأحزان عالم من الهم المكبوت وقاسم
من الغم المخفوت، وقال لنفسه : كم من المحنات أصاب قلب
أمه حتى هذه الليلة، وكم من الحشرات جرح صدرها حتى هذه
الوهلة، إن الولد الذى يتزع من صدر أمه لقتله أى ماتم يثار فى
قلب أمه بسببه وقال : إن المصلحة هى أن أخفى هذا الولد فى
وثاق يأكرام و إنعام فلا يمكن مَحْلُ مثل هذه الزهرة ولا يمكن
فصل مثل هذا الغصن، لعل يوما يظهر هذا السر ويظهر هذا
المستور، وليس لى من قتله غير الهم المقيم بل إن لى من حياته
التنعم العظيم؛ فأكثر من إكرام الولد وأقره فى حجرة مستورة،
وفى اليوم التالى قال للملك : قمت بما أمرت به وأزلت من صدر
الشاه الغبار والنقار :

كمثل القمر والشمس اللذين فى الفلك امثل لأمرى فى كل معترك
فزال هذا الانكسار عن قلب الملك وزايل هذا الغبار صدره
لكن ثقته من بعد زالت عن ابنة القيصر فلم يعد يعيش معها على
مذاق السعادة ولم يعد لورد عشرتها ما كان له من طراوة ولا
لوقع مقالاتها ما كان له من حلاوة :

ذلك القلب الذى كان خزية وفاتنا وكان جماع أمره طلب رضائنا
صار غريبا عنا حتى إنه لا يظن أحد أنه كان أليفنا فى سائر عمرنا

وكانت ابنة القيصر فى حزن عظيم وكرب مقيم لقتل ولدها
فقد صار در صدف حبها فى التراب والدماء ، وراحة روحها
وقلبها فى جبّ الهلاك والفناء، وكانت ترى فضلا عن هذه الحسرة
تغير الشاه فأحالت كثرة الغموم وتواتر الهموم احمرار خديها
اصفراراً وحرارة أنفاسها برودة وابتساراً وصار أرجوان وجهها
معصفراً وورد عارضها مزعفراً :

فى كل لحظة أنا من محنة وغم فى حزن وقلاء كئى ولدت من أجل البلاء
وكان بقصر الملك عجوز طاعن عرفت العمر الطويل وعركت
حوادث الزمن الويل فقالت يوما لهذه الأميرة : ماذا حدث لك
فأنا أراك على الدوام حزينة مهمومة ومتحيرة ومتفكرة ؟ وجه
عارضك فى معرض الزوال وحسن خديك على شرف الانتقال ،
فشرحت الأميرة غُصة الزمان وقصة الحدثان للعجوز : ولدى
ذهب وزوجى غضب وليس لألم فراق ولدى دواء ولا لإعراض
الشاه انتهاء ؛ فقالت العجوز : لا تبتسى فإنى بحل هذا المشكل
عارفة وطريق هذا المنزل ألفة وسوف أتحايل حتى يرضى عليك
الملك ويفنى كل غضبه من قلبه ؛ فقالت يا أمى لو قدمت لهذا
الألم علاجاً ولهذه الحادثة افتراجاً لأملأن جيوبك بالذهب
ولأغنين افتقارك بالمال والمال ، وتبقين بقية عمرك فى ظل رأفتى
وتعيشين آخر شيخوختك فى روض نعمتي ، وقال عليه السلام :
(إن حسن العهد من الإيمان) .

واهتبلت العجوز فرصة وجدت فيها الملك مختلياً فأخذت
بلطائف الحيل تستفسر عن الواقعة وتستخير عن الحادثة وقالت :
ماذا جعل الملك يظل دائماً في قبضته التفكير وسلم عنانه إلى يد
التحير ؟ كان ظاهرك من قبل أنوار البشاشة وباطنك آثار الهشاشة
والآن أرى غبار حزنك علق بأزهار حسنك وتراب فكرتك تجمع
على ورد ملاحتك ؟ فرد الشاه : يا أمى لدى هم لا مناص من
كتمانهم وسر لافوت من إبطانه ، اعلمى أنى جلبت غلاماً من الروم
واتهموا هذه المرأة به فقتلته ولا يطاوعنى قلبى أن أقتل المرأة ،
ويحدونى أمل فى أن أطلع على حقيقة هذه المرأة وأجمع هذا
الخاطر المتفرق ؛ فقالت العجوز : اعلم أن لدى تعويذة وحديدة
من أحراز الرسول سليمان عليه السلام بالخط السريانى مكتوبة
بقلم الجان على بياض من الديباج ، فإذا نامت امرأتك ضعها
على صدرها تُفَضِّ إلَيْكَ فى الحال بما فعلته بلا زيادة ولا نقصان ؛
فاستعجب الملك من هذا الطلسم واستغرب لهذه التعويذة ، وقال :
يجوز أن نعلم مضمون هذا الحال ونفهم مكنون هذا المقال ؛
وأعطت العجوز الملك فى وقت المنام التعويذة والحديدة قائلة :
حين تنام امرأتك ضع هذه التعويذة على صدرها وهذه الحديدة
تحت وسادتها وحذار أن يغلبك النوم ، وأنصت إلى ما تقول ،
ثم قدمت إلى الأميرة وقالت : احتلت حيلة واصطنعت وسيلة ،
الليلة حين يرقد الملك عليك أن تتظاهرى بالنوم وحين يضع ورقة
على صدرك قصى كل ما جرى من أحوالك فإن الشاه بحبك

متعلقا وباطنه بعشقتك موافقا فسوف يشتم ورد وصالك ويتنسم
نسيم رضاك ويكون فى كيسه أسرار عشقه نقد وعلى عمامة آثار
حبه عقد ويسعد فى الحال ، ولو كان يجزم الفراق ويعزم الطلاق
فإن لنهار الوصال ليلاً ولشخص المودة اضمحلالاً ، يراً ذيل
أحوالك من غبار هذه التهمة ويُدراً عن قالبك الرقيق كسوة هذه
الآفة ؛ لأن الملل والخجل يشوى القلب بناره ويجرى العين فيضاناً
بمائه ؛ فوضعت المرأة على وفق إشارة العجوز جنبها على سريرها
وفتحت عينيها إلى قضائها وقدرها لكى تنظر ماذا يخرجها الفلك
من أستاره :

من كثر ما أعطانيه الدهر من شراب المرارة

دمى وقلبي وروحي لهم الأيام الدوارة

ولما حانت الساعة وضع الملك التعويذة على صدرها غير
المستريح والحديدة أسفل وسادة رأسها المليح ؛ فأخذت المرأة تقص
هموم الأيام وأحزان الأعوام مما يمجج به روحها من حزن وآلام
وبينت ما جرى لها من أجوال فى سائر عهدها وما جرى به من
قلم القضاء على ورق قلبها من إثبات حزنها وسعدها ، قالت :
كان لى من زوجى السابق ولد كأنه مائة ألف حسناء ، وكان وجوده
لقلبي مفتاح كل الفتوح وشهوده لروحي مصباح كل صبوح ،
كان غصن ررض الدولة وفرع شجر السعادة ، كان بستان وجهه
مريض نظري ، وكان ياسمين عذاره متزه بصرى كالقمر السماوى
فى نسبه الخسروانى :

كان راحة جناني وسرو جتني وكنت رؤية وجهه من حولي روضتي

فلما زوجني أبي بهذا الشاه ظلمت بحكم نقصان العقل أخفى
قصة ولدي وفي فراقه أمضى عمري في محنتي ، فلما وصل إلى
الغاية آلام فراقه وهوى صبرى باحتراقه ومضى قمر سكوني إلى
محاقه جئت به في النهاية بالحيلة من بلاد الروم لأجعله مرهما
لقلبي المظلوم ، وكنت أسلى قلبي بالنظر المجرد إليه وأصفي كربى
بالمراى المفرد إليه ، وحدث أن وجدته يوما منفردا كما يجد
العطشان الماء الزلال أو العاشق ليل الوصال فضمته إلى صدرى
بسبب شوقى وعشقى وقلة صبرى ، شممت عنبر شعره وقبلت
عبره بصره ، فوصل ما حصل بطريق التهمة إلى مسامع الشاه ،
ففصل عنق ولدى الوحيد :

عجبت لصبرى بعده وهو ميت وكنت امرءاً أبكى دوما وهو غائب
على أنها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

ليت عيني حين بقت من النظرة مهجورة غدت بالعبرة
مأمورة حتى يكون لقلبي الممتليء عن طريق العين براح ولحجرة
مأتمى بشرح الهم مصباح :

من كان بمكته حكاية همه صار بمكته إزالة غمه بمقالته

فانظر إلى هذه الوردة العجيبة التى تفتحت لنا

عجزت عن إبداء لونها وإخفاء ريحها

وليت الشاه وافق حبي ورافق قربي حين ضاع ولدى العزيز ؛
فلما سمع الشاه هذه الكلمات راح يقبل وجهها وشعرها وينرف
العبرات من مآقيه وقال : يا أصل الروح وأس الروح أى خطأ
اقترفته ؟ ألصقت بنفسك تهمة وأزهقت روح ولدك ، واستدعى
فى الحال حاجبه ، وقال ذاك الطفل الوسيم والصبي القسيم الذى
قتلت كان ولد أنيستى وكبد جميلتى فأين مقبرته حتى أزور تربة
ذاك الشهيد وأعمر روضة ذاك السعيد ؟ فقبل الحاجب أرض
الطاعة وقال : أدام الله الملك أبشر فإن ذاك الولد لا يزال بمهد
الحياة وذاك القمر لا يزال بعهد سعادة الأناة جلس فى ضمان
الأمان فى فرشة الروض والبستان ، مجد السيادة من جبينه لائح
ونور السعادة فى خده واضح ، لما أمرنى الشاه بقتله وددت
المساعدة والمبادرة لهلكه لكن أمير الروم قال : لا تعجلن بقتلى
فأنا شخص من عرق النسب القيصرى وثمر من شجر روضة
الحسب الكسروى وأمى وهى ملكة هذا الملك استحثت أن تظهر
سرى وتجهز بأمرى لعل الحظ يساعدا يوما والبخت يواعدنا عهدا
ويردقنى السعد الرحمانى ويألفنى الفضل الربانى فتتهى أمى شأنى
إلى السمع الأعلى وتنجى عز نسيى من هذا الذل وتحى كمال
حسبى فى هذا العالم . استئصال الشجر سهل لكن غرسه
وإبلاغه الكمال صعب ؛ فأمر الملك بإحضار الولد ؛ فلما طلعت
شمس محياه ولمعت هالة سيماء ورأت الأم وجه ولدها تحولت
عن المسيحية شكرا لهذه النعمة وتولت عن ابنها مسوح الرهبانية

حمدا لهذه المأثرة ، وخلع على الحاجب رفيع الخلع وزادوا فى
اصطناعاته وقاضوا فى إقطاعاته .

وإذ ذاك قال بختيار : أيها الملك ، فى هذه القصة لأهل
العقل فوائد ولأرياب الألباب موائد ، والفائدة الأعظم والنكتة
الأهم هى توجب التأنى فى قتل الحى ولو كان ذاك الحاجب قتل
الولد لاستحق الغرامة والملامة وما تحقق له الخلعة والكرامة إذا
عرف الحق من الباطل وانكشف سر الأم وولدها ؛ فلا تعجلن أيها
الملك بحكم اقتضاء العقل وراتضاء العدل بقتلى فسوف تظهر فى
العاقبة لرأيكم العالى براءة ساحتى وتجهر نقية من الخيانة سمعتى ؛
فلما سمع الملك هذه الحكاية قال : توقفوا اليوم حتى تتعرفوا فى
الغد وتتمحصوا ما جد .

كم من التحف يأتى بها الزمان ما دار

من الحادثات العجائب ونوائبه الكبار

ولما طالع اليوم التاسع جيش شعاع الشمس فى الميدان ، وبلغ
الدور التاسع تحرك الليل والنهار فى الزمان قال الوزير التاسع : كل
حامل تلد فى الشهر التاسع ولعل الأمر ينحسم اليوم فأتى الصباح
إلى حضرة الملك وأشعل مصباح الفصاحة فى مشكاة البلاغة
واشتغل بإقامة الدعاء ونظم الشاء :

بقيت مدى الدنيا وملكك راسخ	وطودك ممدود وبابك عامر
وهتت أياما توالى سعوها	كما يتوالى فى العقود الجواهر

وحرص الملك على قتل بختيار وفوض مصلحة الملك إلى الهلك فأمر الشاه بإخراج بختيار من السجن وقال : الحيوانات المؤذيات المضرات لابد من قتلها والحسك والشوك التي يشتبك بذبول الأحرار عند مزار الأزهار لابد من فصلها والجزاء للخيانة لازم والعقاب للزلة ملائم فذهبوا وانصبوا المقصلة وحلوا المشكلة .

فقبل بختيار الأرض وقال : أبقي الله الملك صوروا هذه الخيانة منى على صحيفة رؤيتكم العالية ، وقررروا صنعتى أنا الضعيف فى حضرتكم الغالية ، ومع هذا فلا يجدر بقول الحساد إلقاء سفينة حلمى فى غرق التعجيل ولا يحق بتخريص أصحاب الأحقاد إنهاء سكينه علمى فى يد التخيل ، فالملك (داد بين) حين سمع إفساد الحساد رأى الأضرار فى مستقبل الأيام ؛ فقال الملك : احك لى هذه القصة وارو لى هذه الحكاية .

الباب التاسع

قصة الشاه (داد بين) والحوادث التي تولدت من سماع
قول الحساد والنواب التي أنزلتها دورة الأيام علي رأسه

قال بختيار : أدام الله السلطان المعطاء وملك الأوان ذا العطاء
في عمر معمور بالعظمة المؤيدة وحياة مزينة بالسعادة المخلدة .
كان في بلاد طبرستان ملك من جملة ملوك الزمان صيت شجاعته
في العالم مشهور وذكر مبارزته في الأفواه مذكور ، وكان له
وزيران اسم الأول (كامكار) والثاني (كاردار) وكان لكامكار
الوزير هذا ابنة لم يكن لها في الجن والإنس مشاكل ولا في
حسنها ولطفها مماثل ، كانت حورية في هيئة آدمية وروحا في
صورة بشرية ، ومع كل هذا كانت في ليلها ونهارها في محراب
الطاعة وفي كل أوقاتها على سجادة العبادة ، وكان (كاردار) يوما
في قصر (كامكار) ضيفا ، في ضيافة كلها ظرافة ومجلس كله
لطافة ، كان يظهر الانبساط على بساطه ويبدى النشاط في مجلس
متعته ؛ فلما انبعث من الشراب في مزاج كاردار حرارة ونشأت
من المتعة في مذاقه حلاوة خرج ساعة إلى البستان لكي يسكن
بخار الشراب ويركن رياح الراح وأخذ يطوف حول البستان ،

فرأى من البعد حجرة كانت تبدو موشاة ولاقى روضة كانت تلمع
محلاة ؛ فمر بهذا الطرف ونظر إلى تلك الحجرة فرأى فتاة ذات
جمال قامت للصلاة وتوجهت بالطاعة إلى محراب العبادة كأن
الشمس حلت بالمحراب أو كأن الزهرة بدلت ضرب الأغاني إلى
الخشوع الربانى ، حتى غدا كاردار بمائة ألف قلب عاشق ذاك
الجمال وصيد ذاك الدلال :

حدث لى من العشق أمر وأى أمر

وغرس الزمان بقلبي شوكا وأى شوك

وقلبى الذى كنت أخفيه عن كل امرئ

سقط الآن بيد حبيب وأى حبيب

وفجأة قفل مسافر الشوق على روحه داره وجعل بازى العشق
من قلبه وكره ، هبط طير العشق من هواء نظره وربت نبتة الحب
من أرض محبته ، وفى أثناء تحيره وتفكره عركت القوة الروحانية
النفس الشيطانية وحركت أنوار العقل الآداب الإنسانية فنهض فى
الحال وعاد إلى مجلس الشراب ؛ فلما تجرع بضعة أقداح جاشت
فى جنانه النفس الأمارة وارتمى فى أحضانه طفل الخيال فنهض
وأثر الشراب فى رأسه وانقلب بالعشق قلبه عقبه على رأسه وأتى
الملك ووصف حسن تلك الربيبة وكشف جمال تلك المحبوبة .
ومن كثرة أن منح شرح طرتها وخالها الريش والأجنحة ومن
فيض أوصافه وتشبيهاته قدها الصنوبرى وخدها الأسيل الزهرى
خطا الشاه فى طريق العشق كما خطا (وامق) وتنفس أنفاس
الصدق كالصبح الصادق ، وارتهن التمنى قلبه وأسر الجنون لبه .

نقرت عنقاء العشق بمنقارها روحه وجنانه ، وعسعس الفلك ذى الهلاك فى جسده وجثمانه ودق حادى الحسن جرس الهوس فى نفسه ودحرج مقامر المراد زهر الاستعداد فى حسه :

كأنت روحى وقلبى فى رقةٍ وصدرى فى نزه حين ولج بغته همّ العشق واللّه وأخذ الشاه يستخبر فى كل لحظة عن حسنّها ويستفسر فى كل برهة عن لطفها فكان كاردار يزيده وصفا لجمالها ودلالها :

إن الملك الذى يقود ملّكا إذا مال رشده زال مجده

فخطب الملك ابنة كامكار بواسطة كاردار ورغبه بوعوده الجميلة وتحسين أحواله فى مستقبله وحاله وقال : هذه المصاهرة سبب زيادة مراتبك وهذا الاتفاق أساس ارتفاع مناقبك ؛ فقبل كامكار الأرض وقال : العبد وما فى يده لمولاه ، والملك مالك رقاب العباد وملك الأقاليم والبلاد ومن الفرق حتى القدم طوق عبوديته ومن اللحم حتى الوضم آثار نعمته وتربيته لكن بتى مشغولة بالعبادة بالليل والنهار ليس بها للذات الدنيوية نظر والتفات ولا لمراتبات هذه الحياة توجه ومراعاة ، تقوم الليل وتصوم النهار ، وسأذهب وأبلغها بشارة خطبة السلطان فإن حصل رضاها زال الفكر عن بال السلطان .

وتوجه إذ ذك كامكار الوزير إلى ابنته وشرح ما جرى ، وقال : ابنتى العزيزة صلة الملك سبب السعادة وأساس السيادة وهى فال خرج من كراسته الإقبال وسعد انفرج من حسن الطالع .

فقالت الابنة : يا أبتى لم يبق لى من لذة الطاعة فراغ للشهوة
فأرفق بقلبى ولا تكلفنى ما لا يطاق ؛ فأب إلى حضرة السلطان
الوزير كامكار يجلله القلق وعدم القرار وشرح له أحوال عبادتها
وبكاءها وخشيتها ، وكان العشق استولى على لبه والحب تولى
أمر قلبه ، كانت نفسه الشهوانية ترسم هندسة الوصال ، وكانت
شعوذته الشيطانية تنقش وسوسة الخيال فغلبت فيه قوة الغضب
ومالت به شهوة الإمارة ، فخاطب كامكار الوزير برسالة يقول
فيها : قل لابنتك أن تؤثر السلامة وتودع الملامة وإلا وقعت فى
شرك الهلك وصارت فضيحة الأنام فى الختام ؛ فارتعد الوزير من
شدة هذا الكلام وقال لابنته : إرض بما أمر فسلوك مخالفة الملوك
والإحجام عن أمانى الحكام سبب النائية والبلاء وموجب النازلة
والشقاء . حكمة : إياكم والملوك فإنهم يستعظمون رد الجواب
ويستحقرون ضرب الرقاب ؛ فقالت الابنة : يا أبتى من أدرك
حلاوة القرب الإلهى استقل فراغه الملاهى والقلب الذى عرف لذة
العبادة أنى له أن يوافق طبيعة ذى السيادة ؟ فقال أبوها : وما
التدبير ؟ فقالت : الهرب هو الحل فلغضب الملوك حدة الحسام
ولسخط الولاة انتقام الضرغام والهروب من حدة الحسام وانتقام
الضرغام واجب الدين والعقل ولازم الشرع والعدل ، وفى الخبر :
الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين ، والصلاح هو أن نخلى
الملك والمال ونتجه للرحلة والانتقال ، وفى المثل (السلطان لا
جار له والبحر لا صديق له) .

بما أننى عاجز عن مجابهة ظلمك

فليس عجيباً أن يقول عدوى قد فررت من جورك

ولما أحاط سرادق الليل الغاسق بحوالى العالم وطلع القمر
المزین للأقطار من الفلك المبلى للأعمار وطوى العالم البساط
الأسود للعاشقين ونظمت الدنيا فحم الليل فى قلادة الكواكب ،
صحح الوزير وابتنه العزيمة إلى الهزيمة وأنضوا وأمضوا أسباب
الذهاب ، وفى طلعة النهار حين لم يسمع الملك عنهما خبراً ولم
ير أثراً ركب أيضاً من الصباح جواد الظلم البواح وتنكب طريق
المروة والفتوة وظل يعدو فى أثرهما حتى أدركهما فى منزل وطير
فى الحال رمحه الكبير إلى رأس الوزير فودع كامكار حياته فى
الحال وتسمع نداء الأجل ، ثم أدخل البنت بالجبر فى حباله القهر
وقيدها بقيد النكاح بالتغلب والإلحاح :

لا يحسن الوصل إذا كان على غير هوى الموصول

ولا يكون العاشق معشوقاً بحق إذا كان غير مقبول

ولما انقضت مدة طراً للشاه سفر لازم وجدله مهم كلى لازب
فقوض ترتيب الملك وتمهيد السياسة للوزير كاردار وقال : عليك
أن تنظم فى مدة غيبتى ترتيب مصالح الملك وتعدم مواد الفساد
من ساحة البلاد حتى تثبت وقت رجوعى أقلام رأيك الصائب
آيات الثبات على بياض السلطة وينبت أيام عودتى من آثار سعيك
الجميع نبات الحياة فى رياض الدولة ؛ فقبل كاردار أرض الطاعة
والولاء وتوجه الملك إلى سفر الصحراء ، وقصد كاردار يوماً

مهمة على سطح قصر الملك فوق بصره بغتة على إيوان سراى
الحرم فرأى بنت كامكار كتصوير مانى جالسة على تخت الأمانى
وعقدت يد الحسن شقائق وجهها باقة باقة :

يا من لك من ورد الحسن باقات على وجهك

ما أكثر أن ضربوا كفاً بكف بسبب وجهك

ورام كاردار أن يفنى فى حسنها وينعدم فى لطفها ودق جنون
العشق حلقة باب قلبه قائلاً : أنا قادم وعقدت قوة الصبر رحلها
من ليه قائلة : إنى راحلة ؛ فهبط فى الحال من السقف بقلب كله
جنون وصدر كله مأفون حمل باقات حزن من آلام قلبه وخط
قبالات عبوديته من انخلاب ليه ؛ فخاطب الابنة : مع أن فى
مذهب العشاق ليس لقتل العشاق قصاص وفى شريعة المحبة ليس
لاسترقاق العشاق خلاص ، مع كل هذا يجب سماع آلام قلوب
المحبين والإشفاق على الباب الوالدين المدنفين ، مضت مدة مديدة
وأنا واله بوصالك وانقضت فترة طويلة وأنا ب قيد جمالك ، كانت
النجوم فى السماء تترحم على سهرى وكانت الطيور فى المروج
تتحرق قلباً على ضجرى ، ألقى خيال شعرك المصفر بى فى الهم
وأغرقنى تمنى وجهك المنضر فى عبراتى التى كاليم ؛ فلما سمعت
الابنة هذه الرسالة طردت عنها المرأة التى قدمت بالسلام والكلام
وقالت : قولى لكاردار يجب أن تحضر أمينا على حرم الملك
لا أن تنظر إليه بنظر الخيانة . والعجب من إنك نسيت صداقة أبى

فى سالف الأيام ودفنت رأسك فى الرمال كما تفعل النعام :
الآن وقد انحنى ظهرك بأثقال العمر فتنبّه فقد انفجر أخيرا السحر
كان ماء العشق قد أغرق كاردار بلجاته فلم يعد به بعنان
العقل تمسك ولا بالوعظ والرشد تبرك ؛ فأرسل إليها رسالة ثانية
وبدل اللطف إلى العنف وقال إن جعلت على مرادى حجرا ولا
لتماسى زجرا فلسوف أغضب عليك الملك الشاه وأحيرك فى
مناهات الهلك ؛ فقالت الابنة : أنا من سنوات فى الطاعة ومن
فترات فى الخشاعة ويقبح ارتكاب الزنا لدى أهل الدين ، والزنا
والغنى لا يجتمعان إلا أن فىك العقل قد أصيب بالخلل أو أن
أملك يقصد أجلك فقد سلمت زمامك إلى يد إبليس وأودعت
عنان الخذلان بقبضة الشيطان ورب أمنية تجنى المنية ، وكان بقصر
الملك طباح مخنث يعد الأطعمة ويمد بالأطبخة العذبة ففكر
كاردار أن يتهم تلك الابنة بذاك المخنث ، ويحطم شرف زهدها ،
فلما تواترت أخبار رجوع الملك وظهرت مقدمات موكله ، دبر
كاردار الوزير استقباله ورتب اقتباس إقباله ؛ فلما وصل إلى الملك
قبل أرض الطاعة ، وكان الشاه يسأله عن كل مهم ويستفسر منه
عن كل لازم إلى أن سأله ضمن حديثه على أى نسق كان حال
الحرم وعلى أى نمط كان ترتيب الوظائف ؟ فبدأ كاردار بدافع
الجهالة والضلالة تلاعبه المنكوس فى خانات الطالع المنحوس وقال :
أشكو لك من أهل الحرم شكوى ليس للسان إفاقة أن يطريها ولا

للقلب طاقة أن يخفيها (متحير بين الباب والدار) وكنت أنتظر
قدوم الشاه ؛ فلما سمع الشاه هذه الكلمات ارتعدت فرائصه من
فرط حميته وقال : قل ما حدث من أحوال وما جرى من قيل
وقال ؛ فقال : أمرنى الشاه أن أسمع ما بسراية الحرم فسمعت
بالصدفة حديثا ، فصعدت إلى سطح السراية ليلة فرأيت بنت
كامكار قد جلست مع الطباخ المخنث فى غاية الجراءة ، وأخذ هذا
الطباخ يعاتبها بقوله : حبك لى من طرف اللسان أما عشقى لك
فمن أعماق الجنان ، وظلا يتحادثان بمثل هذا الحديث حتى ناما ؛
فاضطرب الشاه من شدة غصته وغضب من غاية حدته ، ولما
وصل سراية الحرم أمر فضرب عنق المخنث الطباخ ولم يخط قدما
فى دار الحريم حتى استل سيفه الزحلى الطبع الألباسى الوضع
وقال أيتها الذليلة الشقية أثرت ناقصا على تاجى وعرشى وأدخلت
مخنثا إلى وسادتى وفرشى ؟ وا أسفاه على اعتقادى فى زهدك
وطاعتك واعتمادى على طهارتك وعبادتك ! فقالت الزوجة :
أيها الملك احذر أن ترتكب فعلا بتخييل الحاسد وتسويل الفاسد
فيؤنبك عقلك ويغرمك عدلك . اعلم أن لون هذا التزوير لم
يخلطه غير كاردار الوزير ، وهذا البهتان العظيم لم يرمى به إلا هذا
الليثيم ، واصبر لحظة حتى أعين لك طهارتى وأبين رجسه فقد
اتهمت عائشة الصديقة رضى الله عنها مع أنها تشرفت بالخبر
(كلمينى يا حميرا) بالكبيرة ، وقد نسبت إلى مريم الطاهرة الصديقة
مع طهارتها التامة وقوله تعالى فيها (أحصنت فرجها) جريمة

الزنا ، كانت هذه الابنة تتفوه بهذه الكلمات حين صرخ فيها الشاه وقال : اقطعوا عنق هذه النجسة التي سوف تغرر بمكرها طبعى وتفتربغدرها رأى ؛ فقال الحاجب وكان واقفا بجواره : أيها الملك العظيم يتشاءم العظماء من قتل النساء ويتلاوم الكبراء بإهلاك ناقصات العقل ، وإذا كان لا مناص من قتلها فمرهم بربطها بناقة ودفعها إلى بيداء بلا انتهاء فهذا عذاب ألم من القتل وعقاب أعظم من طعن النصل ؛ فأمر الملك بربطها بناقة وإطلاقها فى الصحراء الواسعة الأرجاء .

وحدث أن وصلت الناقة إلى عين ماء فبركت واحتالت البنت حتى حلت عقدها ، وما إن نزلت من فوقها حتى توجهت إلى قبلة الصلاة والتهجد ووجهت قلبها إلى بلاط الأحد الصمد . كانت تصوم النهار وإفطارها على أوراق النبات ، وكانت تقوم الليل وانتظارها الفرج من رب الكائنات ، ومن كان لله فالله له : لا يتأوه من سوء الحال إلا العاجز والضال

وحدث أن جفلت بضع نوق من راعى ملك الملوك من صف الإبل وغابت أياماً عن المراهى فظل يتجول على جمازة حول المفازة حتى وصل بغتة إلى حافة البئر فرأى حسناء عقدت عقدة التبتل وجلست وحيدة فى هذا الجبل الهائل ؛ فلما أنهت صلاتها بالتسليم سبق الراعى إليها بالتسليم ثم سألها بحكم التعجب هل أنت من بنى الإنسان أم من زمرة الجان حتى قررت فى مثل هذه

البرية وآثرت العزلة عن البرية ؟ فقالت : أنا مظلومة ومحرومة
تشردت فى هذه الصحراء وتبددت فى هذه البداء ، لكن عبادة الله
غذاء القلب وطاعة الخالق شفاء التعب ولدى كلمة الإسلام بمثابة
الطعام ، وذكر ذى الجلالة بمنزلة الماء الزلال ؛ فقال راعى الإبل :
أيتها الزاهدة اقبلى أخوتى لك حتى أحملك إلى دار ملك الملوك
خشية أن ترى فى هذه الصحراء آفة أو تشاهدى فى هذه المفازة
مخافة ؛ فقالت البنت : توكلى على الرحمن وتعبدى للمنان وفى
القرآن (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ؛ فوضع الراعى على
حافة البئر ما معه من طعام وأدام وانطلق يبحث عن النوق الضالة
ساعة ؛ فلما أشعت بركات هذه المستورة عليه أقبلت النوق الضالة
تسعى إليه فتوجه بقلب سعيد إلى بلده البعيد ، وكان الملك الأكبر
فى الميدان وكرفته فى عقفة الصولجان ؛ فلما رأى الراعى سأل هل
وجدت النوق ؟ فقال وجدت جميع النياق بعظمة السلطان وبركة
زاهدة الزمان ؛ فسأل السلطان : من هذه الزاهدة فى هذه البادية
ومن العابدة فى هذه المفازة ؟ فشرح الراعى صفة جمالها وهياة
كمالها وكيفية طاعتها وعبادتها ، وقال روحانية من الصوامع الفلكية
وآدمية فى الصورة الملكية ؛ فتوجه السلطان فى الحال على سبيل
الاصطياد إلى تلك الوهاد والنجاد ومنها مع جماعة من العبيد إلى
حيث الصخور الجلاميد ، وبعد أن قطعوا منازل ثلاثة وصلوا إلى
تلك البئر فرأى السلطان مستورة قد سجدت وسكنت فى تضرع

وأدب فى مقام الطلب ؛ فلما رأى السلطان ذاك التضرع والتخضع
ظهرت رقة فى طبيعته وخشية فى طيسته ؛ فترجل السلطان فى
الحال عن جواده وتنزل عن كلفة السلطنة ، وأنهت البنت صلاتها
بالسلام فبادرها السلطان بلسان الانصياع بالسلام ، ثم قال : لم
لا تأتى إلى دار ملكى فأسباب الطاعة فى المصر الجامع أكثر ترتيباً
وأبواب العبادة فى المشاهد والصوامع أكثر تهذيباً ، وإن وددت أن
تزوجينى نفسك بالنكاح الشرعى حتى تبدو للطاعة حلاوة فى
قلبي بموافقتك وتظهر للعبادة طراوة فى صدرى بمرافقتك فلك هذا ؟
فقالت البنت : أنا مسكينة انقطعت عن الخلق واسترحت بذكر
الحق وأنت ملك الملوك وسلطان الزمان والمكان فاتركنى حتى أدعو
لدولتك وأرجو بقاء سلطانك ؛ فلما رأى السلطان مواظبتها على
الطاعة قال لنفسه :

إذا تجاوزت الاستقامة فهذا خسران

وأى رجل هذا الذى به عن النساء نقصان

فنصب خيمته وانشغل بالعبادة ، ولما أظهنر لأيام ثلاثة
بالإخلاص طاعته وأصدر من صفاء قلبه عبادته قال للبنت : كان
هذا من بركات أحوالك ومن أنوار أعمالك فلا بد أن تأتى إلى
المدينة حتى يكون لى أثر من بركات عبادتك ونظر من سعادة
طاعتك ؛ فقالت البنت : اعلم أنى امرأة خط الأعداء على رقم
التهمة وكتبوا على بقلم الخيانة وأنا بنت كامكار الوزير والظلم
الذى وقع عليه لعله وصل سمع السلطان وأنا الآن فى نكاح (داد

بين) ولعل التهور الذى بطبعه قد بات مشهورا ، ويحكم الإشارة السلطانية سوف آتى إلى المدينة بشرط أن تستدعى الشاه داد بين وكاردار الضال إلى حضرتك وتحضر الاثنين إليك حتى أظهر بالتقرير براءة ذمتى وأغسل عن ذاتى لوث الخيانة وأنقل للكافة بمدد حضرتك حديث طهارتى .

وأمر السلطان فأتى بينت كامكار فى مهد الرفاهية إلى دار ملك السلطنة وعين جماعة لاستدعاء داد بين وكاردار إلى حضرة الشهريار ، فلما وصلا إلى حضرتة قبلا أرض الطاعة وقال ملك الملوك : تعلمان أن دفع الظلم من مهمات الدين والدولة وتمهيد العدل من لوازم العقل والإنسانية وإذا لم يكن للحدود الشرعية إقامة فلن يكون لأحد فى العالم وجه السلامة ، وخلاصة الشريعة إعانة المظلومين ولباب السياسة رعاية المحرومين ، وابنة كامكار الوزير تتظلم من ظلم كاردار الوزير وتقول إنه رقم على برقم الفضيحة بقول كاذب وألقى على يدي التهمة سهم الخذلان من قوس البهتان واليوم هو يوم امتياز الحق عن الباطل واقتراق الصدق عن الخاتل ، جرى هذا البيان على لسان السلطان فصاحت الابنة من وراء خدرها : أستدعى من السلطان وملك الزمان أن يسأل كاردار ماذا رأى منى من جرم وخيانة وزلة ومعصية حتى يصيرنى قبيحة مفضوحة ؟ فقال السلطان أصدق القول (الحق أبلج والباطل لجلج) فمن السهل تمييز الحق عن الباطل ومن الصعب تجويز الخداع فى مجلس الملوك ؛ فقال كاردار

: لم أجد من هذه المستورة قط أى فحش وغلط ، ولم أسمع منها صغيرة وكبيرة ، وكل ما قلته كان خطأ إنسانيا وتعلينا شيطانيا .
فقلت الابنة : الحمد لله فقد زالت ظلمة هذه التهمة والمنة لله فقد بطلت شبهة هذه الخيانة .

فلما علم ملك الملوك بخبث مقالته وقبح معاملته قال للبنت :
ماذا تريدن من معاقبة ؟ فقلت : إن الراى العالى الحسرونى فى إمضاء كل حد وتنفيذ كل حق هو الأعلى لكن التمسك بنص القرآن وإشارة الفرقان هو الأولى وقال تعالى : (وجزاء سيئة سيئة مثلها) وكما ربطونى بناقة وشردونى فى الصحراء فمر بربطه بناقة وقذفه بالصحراء حتى لا يسعى من بعد ذاك الطاغوت إلى هتك أستار العورات وتفضيح زمرة المستورات .

ثم قال السلطان : هل تريدن شيئا آخر ؛ فقلت : يعلم ملك البسيطة المكين بأن الشاه داد بين قد دق عنق والدى برمح ثخين ، لم يستح قلبه الأسود من شعره الأبيض ولم يرعو قالب جهله عن آثار فضله والقصاص فى الشرع من المهمات وعصمة الأرواح والأشباح من الواجبات ، وإنى أطلب القصاص بنص رب الأرباب « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب » ، فأمر السلطان بفصل عنق داد بين برمح رزين :

ثم ارتاح الخلق من ذل حكمه لما أمر العدل بجزاء حكمه

ثم قال : هل تريدین شیئا آخر ؟ فقالت : الحاجب الذى بذل جهدا فى نجاتی وحسن عهدا فى خلاصی مُر بأن یسطر اسمه فى جريدة الخدم ویوفر عطاؤه من الخزانة الکسروية ؛ فأمر ملك الملوك فألبس الحاجب خلعة رفیعة وأبلغ مرتبة الخواص ودرجة الاختصاص :

الله لیس بغافل عن أمره وكفى بربى ناصرا ووکیلا
لا یملك الإنسان بتا قاطعا لکماله وقضائه تبديلا

ثم قال إذ ذاك بختیار : كان الغرض من هذه القصة أن یعلم السلطان المُعلم أن لیس فى هذا العالم فعلا بلا مجازاة وعملاً بلا مكافأة ، وفى القرآن الکریم (ولا تحسبن الله غافلا عما یعمل الظالمون) فإن ظلم داد بین کامکار الوزير فقد ذاق فى العاقبة نفس الشربة بلا محابة ، وحق به نفس الضربة بلا مواساة ، وإذا جرح کاردار قلبه بجرح التهمة وقرح صدرا بقرح المحنة فقد تشرد آخر الأمر فى الصحراء وتفرد أيضا بذاك الابتلاء ، وإذا قرر ذاك الحاجب مصلحة وصور مساهلة صارت فى النهاية السعادة ألیف سعده والسيادة رديف سؤدده ، ولما تبرأت تلك البنت من التهم وتطهرت من کبیر وصغیر الإثم شهرت فى مسختم الأمور طهارتها وذكرت نزاقتها (وما الله بغافل عما تعملون) ألا جعل الله بقاء الملك فى تخليد الملك وتأیید الفلك ، ویقین أن آثار القضاء والقدر الإلهی له فى عوالم الفطرة ومعالم القدرة نفوذ تام

لا يندفع بأى حيلة ولا ينقطع بأى وسيلة ، وإذ أثبت قلم القضاء والقدر لى على صحيفة الطالع البرء القاطع فلا بد أن تتحقق برائى بلا تحريض الوزراء وتحريك الأعداء ، ولكن إذا كان الفعل من أبناء العالم والعمل من أولاد آدم فلا يجب تشديد الاجتهاد أو تبديد قواعد الاكتساب ؛ فلما كانت المستورة مطهرة من تهمة السعاة الواشين فلم يتحرق بنار حسد الحاسدين طهرها ولم يتفرق بشرار الحاقدين بيدرها ، وبما أنى لست ملطخا بجريمة فأنا متعلق بيد أملى بالعروة الوثقى ومعلق بصر رجائى بالقدح المعلا ، والتماسى من الكرم العميم والخلق الكريم لحضرة الشاه أن يتأنى فى حكمه ؛ لأن شمس إثبات الحق تبدل ليل التهمة المفارق إلى صبح النصفة الصادق فينقطع أثر سعاية حسادى ويطلع النظر المبارك للشاه على صفاء ودادى ، ولما وصل رسول الكلام إلى هذا المقام وبلغت عروس الملاحه محمل الفصاحة أمر الملك بإيداع بختيار السجن ، فاتجه بختيار إلى دار اعتقاله ، وأجرى هذا الشعر على لسان مقاله :

إلام يدمى قلبى ولبى بجفاء الزمان ذى الحادثات الفظائع
ولو اعتذر لى حظى فرضا فيكف أفعل بعمر فى سجنى هذا ضائع
ولما غدا صباح اليوم العاشر هو الناشر لشقة الرايات الطالعة
وصاربه الجيش اللابس السواد للديجور من فضاء الهواء هو
المهجور ، بلغ عدد مراحل الأيام عشرا وزاد طول صبر الوزراء

قصرًا ، فاجتمع الأعيان وأركان الدولة واتفق العمدان وحجاب
الحضرة واتجهت جملتهم إلى البلاط وقالوا : حكم الشاه مادة
العفو والعاطفة وثمره قوى الروحانية الجارفة ، ومالم يكن
شخص مهبط النور الإلهي ومطرح شعاع الفضل غير المتناهي ،
لا تنعقد في معدن باطنه جواهر خصال الكمال ولا تترشح ينابيع
زلال مكارم الأخلاق من عيون جمال حلمه ومعادن كمال علمه ،
لكن حين يتجاوز الحلم حد الاعتدال يغدو سبب فوت السياسة
ومادة فقدان الرئاسة ، ومع كل هذه المقدمات تختل أركان الملة
وأسس الملك وتزلزل عمائر الحدود وآيات الشهود وهي موضوع
الأصفياء والأنبياء ومشروع وحى الكبرياء ، والعسل هو سبب
الشفاء وإن أكثر من أكله صار سبب الحرارة والداء :

مع أن العسل طيب مذاق لكن إن أكثر من أكله زاد دمك من تعبته ومشكلته
والحلم الذى هو عنوان الإنسانية إذا جاوز المدى صار سبب
الجراءة والاعتداء ، وجملة الكفار يسلمون فى حالة اليأس لكن لا
يحصل لهم من هذا الإيمان غير اليأس ولا ينزل بهم غير نار الجحيم
والسعير ، ولا يجب ترك معارف الرجال من أجل زخارف الأطفال ،
ولا يجدر لشجرة الرئاسة الاستئصال بترهات الحديث والمقال :

هو الملك لكن السيف جُتَّهَ والسهم والخوذة والرمح أيضا جُتَّهَ

فلما سمع الشاه هذه الكلمات أمر بشنق بختيار فى التو ، لما
وصل الثانى إلى الأول قبل الأرض أمامه وقال : يعلم الملك ذو

الفهم أن لا مفر من القضاء الرباني في عالم التصرف الإنساني ،
ولا مهرب من التقدير الكلي في مضائق التدبير الجبلي ولا يجدى
الهرب من القضاء ولا السرب من القدر ، وهاكم ملك الحجاز
رغم ما احتاطه من تدبير لمنع القضاء والتقدير إلا أنه مخلب
شاهين القضاء في الانتهاء أسره ، ومنقار عقاب التقدير نسه ،
وأنا عبد أبديت رضا بقضائي وأبقيت الحذر من القدر :

قضى الله أمرا وجف القلم وفيما قضى ربنا ما ظلم
وإن أصغى الشاه لهذه القصة العجيبة والحكاية الغريبة التي
جرى لملك الحجاز رواها عبده ، فقال الملك : قصها عليّ
لأسمعها .

الباب العاشر

قصة ملك الحجاز وعجز البشر فى مقابلة القضاء والقدر

قال بختيار : أدام الله ملك العالم فى ملك لا يتبدل وحكم لا يتحول وعيش كالرياض وقت الربيع وحياة فى ظل خالق الخلق البديع . كان ملك بأرض الحجاز له حشم مطيع وحكم رفيع ، ولم يكن له ولد فقال لنفسه ليت لى من ولد يرث هذا البلد ، غصة هى أن تنتقل شجرة الملك من الجنة الفالحة للأقارب إلى الأرض المالحة للأجانب وحسرة هى أن يتحول تاج السلطنة من مفرق القريب إلى يد الغريب ، وكان على الدوام يدعو بدعاء زكريا عليه السلام (هب من لدنك ذرية) ، وفى النهاية قرن قنوت دعائه بتوقيع الإيجاب وخزن ولد فى وعاء رحم الإنجاب ، ومنحه التقدير الإلهى واللفظ غير المتناهى ولدا فى الجمال بلا عديل وفى الحسن بلا مثل ، ريحان فى جنة المحبة وأرجوان فى روضة المودة ، وأخذ منجمو الشاه ارتفاع طالع الولادة وعابنوا مواضع السيارات فى بروج الثابتات ، وعلقوا خلاصته سر الأحكام ومقتضى سير الأجرام ، وأتوا حضرة ملك وقالوا : يحق بهذا الولد فى سن السابعة من مخلب أسد خطر فئائه وإن تخلص من

ذاك الخطر فلن يخلص من الملك خوفه من زوال بقائه ؛ فتحير
الشاه في عجائب هذا الطالع وتفكر من مشكلات هذا الواقع
وكان يقول لنفسه : هذا طالع طريف وحادث عجيب وأبدى
رضاه لقضاه ، وقال الرضا بالقضاء باب الله الأعظم ، كل نار
تصير في العاقبة ترابا وكل ملك يصبح في النهاية تبابا وملك هذا
العالم وماله ظل زائل ودولة هذه الدنيا وجاهاها كله باطل ،
والولد سبب السرور لكل البرية ، لكنه لهذا الملك سبب البلية .
كان ينظر في وجه ولده ، ويقول : ما أقسى أن يكون لهذا
الرطب شوك في قلبه ولهذا الطرب خمار في عقبه :

من وصلك لا يجدر سعادة واطمئنان لأنى على يقين منك بالهجران

قال الملك : آفة هذا الولد طعنة أسد حتى انتهاء عامه السابع
ويقال سبعة أعوام عمر في مدة الزمان ودورة الحدثان ، فلى أن
أكحل عيني في هذه السنوات بجمال هذا الوليد وأن أحصل منه
السرور السعيد إلى أن يظهر فرخ من بيضة الوجود ويبدو شرخ
من جدار السدود ؛ فلما أتم الصبى السابعة ودار هذا الفرجار
على مراكز الأعمار سبعة أدوار واحتال تحويل هذه الأحوال على
بياض الآجال سبعة أعوام أراد الملك طمس نقش القضاء والقدر
بيد الحيلة البشرية ودفع التقدير الربانى بالتدبير الإنسانى ؛ فأمر
ببناء جب في قعر جبل وإنشاء بيت في قعر الجب وأرسل الطفل
وقابلته إلى هذا المقر الخفى ، وكان يحمل لهما الطعام في سائر

الأيام ، وكان الملك يذهب كل أسبوع ويخرج من ذاك البدر ابن
الأسبوعين من قعر الجب بدلو عشق القلب فإذا أخرج هذا البدر
من قعر ذاك البئر كان يقلب زهر الحب على بساط الشوق ساعة
ويلعب مع حريف وصاله نرد العشق ويقول : أيها العدو الحبيب
المُحيا وقعت بسبك في كد ونصب وأيها القاتل بلا محابة قبلت
من أجلك بكل بلاء ولغب ما أعجب أمرك وأغرب حبك . راعى
غاية الرعاية في حفظ هذا الولد وحراسته فكان يُربى في مهد
حسن العهد وينمى في قماط كمال الاحتياط ، قال عليه السلام :
(الولد مبخلة مجبنة) ويقولون لا يجب أن يعلق غبار بوجهه
كالأزهار أو تجرى صروف لكسوف لوجه هذا الشمس .

وحدث أن ربض يوما أسد العرين للصيد في كمين كالريح
في سرعته وكالنار في حركته فوصل بغتة إلى حافة هذا الجب
وسقط فيه (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) فالتقم ساعد الطفل
وألقاه أعلى البئر وأراد أن يقفز فلم يتيسر له هذا ، فأراد أن يرقى
بحيلة فلم يمكن ذلك . وصارت القابلة فريسة لمخالب الأسد
المتضور الضارى وانحدر الطفل إلى السفلى من العالى :

طلما لم يعد لى من قتالك مفر فالأولى أن أنهزم وأولى الدبر
ومرّ راعى إبل بالصدفة بجانب الجب ماضيا إلى بلده؛ فرأى
طفلا كبدر ليلة الحلکان وولدا كفرع الأرجوان ، غرق ورد وجوده
فى الدم القانى واخترق رداء قلبه من بلية مخلب الضارى .

استبق اللعل من قدره السروى البللور وتفوق الياقوت النضار من عروقه على الكافور ؛ فقال الراعى : ماذا ألم بك أيها الصبى وأنت جريح بلا ممرض وسط هذا المريض ؟ فقال : عضنى كلب ؛ ونظر الراعى فرأى جرحا غائرا فعلم أنه أسد ، فقال : ألك أب ؟ فقال لى لكنه لا يعلم بما حدث ؛ فقال ألك أم ؟ قال : كان لى لكن الكلب الذى عضنى أكلها ؛ فحملة الراعى وسار به إلى بلده وأخذ يداويه بدافع الرحمة ويراعيه بغاية الشفقة ، حتى عاودته الراحة والصحة التامة .

وآب الأب الملك فى اليوم التالى لتفقد ولده فلما بلغ حافة البئر رأى أسدا ضاريا يزأر فى قعر البئر فارتعدت فرائصه حسرة على تلك الحالة وقال : أواه صار عيى ومصباحى طعمة أسد المصائب وغدا نرجس روضى لقمة ألوان المصائب ، وأخذ يحثو من هم فراق ولده رأسه بالرغام ويصب من جمرات الأحزان على هامته بالضرام ورجع إلى دار ملكه بجبة متبرة وهامة متربة كالكمون فى نواح والبنفسج فى أتراح :
تحايلت كل حيلة لكيلا أرى منك هجرا

لكن ما العمل وقد حكم الله بهذا قدرا؟

فأخذ حكماء الدهر وفضلاء العصر يسكنون نار همه وقالوا : مع أن بقاء الولد مطلوب لأنهم رائحة غاية السرور وشجر ورد الحبور لكن القمر بلا عقدة الخسوف والشمس بلا بلية الكسوف وإذا لم يتجرع هذا الولد شربة الفناء فقد كان الملك فى قلق لتوقع

أن يحل به هو الفناء وبقاء الملك عوض بقائه ولقاؤه مرهم فنائه ،
ولو أن دُرّة تهشمت بضربة الأجل فالبحر الذى هو معدن أصناف
الآلئ باق ولو أن زهرة سقطت فى التراب بصرصر القدر فإن
الشجرة التى هى مطلع أزهار معانى المعالى قائمة ، وظلوا مدة
يُسَلون هذه المصيبة ويصفون هذه النازلة ، أما الولد فكان يمضى
عمره سالماً فى رعاية ذاك الراعى ليس به خبر عن حل العالم
وعقده وليس فيه أثر عن نسيء الخلق ونقده ، ولما سلفت ثمانية
أعوام وبلغ الولد الخامسة عشرة كملت قواه الطبيعية وبطلت
نقائصه الطفولية وانعقدت ثمرة رجولته بغصن البشرية وارتبطت
أسلاك الأمانى بيد الحيوية فكان الولد بحكم اقتضاء العرق
الملكى يذهب للقنص ، وكان من المساء إلى الصبح أنسه بالسيف
والرمح ، وكان على وسادته بالليل الحسام وكان جليسه بالنهار
الضرغام .

ولما شاهد جمع من العيارين بتلك الولاية فى هذا الأمير
الشهامة والشجاعة وأنه فى صولة أسد الأحراش وبصفة نمر قفر
نهاش ، كالريح فى مسيره والنار فى أثيره قالوا له : الوبال فى
عيش أصحاب السيوف فى ظل السقوف والمحال لأرباب الرماح
غير امتطاء جناح الرياح :

ومشربه موطن التمساح	من كان منامه مسكن النمر
وطعم الملوحة بالليل سكره	كان ظهر النمر بالنهار مستقره

كن بحرا لتنجو من قيد القلال، وكن شمسا لتخلص من عار الأغلال. فى النهاية نهض هذا الولد مع جماعة مغاوير للسرقة فما أمنت الولاية بل تمكنت الفتنة وانقطعت القوافل واجتمعت النوازل فأتى الناس إلى ديوان المظالم يشكون تعرض العيارين ورفع أهل الولاية قصص الشكوى من تعدى السارقين ؛ فعين الملك جماعة من الحشم لدفع الضرر وقطع الثورة والشر من قبل المعتدين ؛ فلما تلاقى أولئك المغاوير فى حرب معهم وتقاتل الجود فى ضرب لهم تزلزلت أقدام الجيش القدير أمام هجمات الأمير فعدوا الهزيمة غنيمة والفرار استظهارا ؛ فلما انهزم الجيش أبوا إلى دار ملك الملك ؛ فأتاب فوجا آخر من الحشم وصنفا آخر من الخدم لدفع أنواع مضرتهم وأصناف معرفتهم وقلع مواد فستهم ، وفى الكرة الثانية حين انتظم للرجال القلب والجناح والتأم للأبطال الميمنة والميسرة صرخ الأمير فيهم صرخة فقلب صراخه الشجاع قلب الجيش وجناحه وسلب رعب رجولته القدرة من الرجال فولى الجيش الأدبار وهو يصيح أين الفرار ؛ فلما رأى الملك وجوه الرجال الأبطال مصفرة وأنفاس أرباب القتال مبتسرة وصار كل عقاب قطاة ضعيفة وكل شاهين تذرجه نحيفة وانقلبت الخدود أرجوانية وانحنت القدود خيزرانية أصابه من هزيمة حشمة الملل ونابه من الرعية وأهل الولاية الخجل واحتل شرف الملك وزل أساس السياسة ورأى ضرورة أن يتجه بنفسه للقتال ويعقد عزمه للنضال ؛ فلما وصل الشاه وجنوده إلى اللصوص بلغ دق الطبول

أوج الفلك الأعظم وسمع ضجة السناى الجذر الأصم والتهبت نار
الهيحاء واضطربت قوالب القلوب ، وكان الأمير يحمل كالأسد
الضارى ويجندل فى كل حملة من الجنود الفدائى الشارى ويهلك
فى كل هجمة له المتجاهر والمتوارى برمح إذا ضرب به الجبل صار
سهلا فيقلب به خلقا وفى كل حملة له ، إذا توجه بها إلى الفلك
لألقى بالجمال والجوزاء إلى مهاوى الهلك ، كان يدحرج علما فى
دمائه ، حتى هبط المريخ من فلكه الخامس مادحا لينظر هذا الهزبر
وانحدر زحل من الفلك السابع لينظر حسام البتر :

يا من لحلة فهمك قوة حد الحسام أنى يثبت أمام حملتك أشد ضرغام؟
فلما رأى الملك ذاك الحال قام مع جماعة من الرجال بأعنف
قتال فتواجه الوالد والولد وتجادل الأصل والفرع ، كان الفرع
يضرب بسيفه على فرق الجذر وكان الثمر يطعن بفأس بأسه فرع
الشجر ، وفى النهاية غلبت قوة الأبوة قدرة البنوة وظهرت هية
الأب على حالة الابن ، وعاد بجرح غائر واجتهد الجيش كثيرا
حتى أسروه ، وعاد الملك بطعنة نافذة فى المفرق وسائر أعضائه
وأجزائه فى دمه تغرق ، وقال للمنجمين فى خدمته : أحكامكم
خطأ وأقوالكم خطل ، قلت لو عاش هذا الولد فأجلك على يده
ولو أهلكه الأسد فأجلك فى قوته وأيده ؛ فأخذ المنجمون ارتفاع
طالع الوقت وعابنوا اجتماع الكواكب السيارة وقالوا بمقتضى
الارتفاع وقضية الاجتماع ، هذا الذى طعنك لن يكون غير ابنك

فعد الملك هذا حكما محالا وأبدى لهذا القول ملالا وقال ولدى
أكله الأسد فى الواقع ، وقال المنجمون : بالقطع لم يخالف مسير
الأجرام وتأثير الأحكام قاعدة التنجيم وزيح التقويم، وكان الطالع
صحيحا حسب قانون العلم وصريحا بناء على دقائق الحكم ونحن
خدام الملك كيف يليق بنا أن نعى خلافا أو نعى خطأ ؟ وصار
استخبار تلك المشكلات واستفسار هذه العضلات ضرورة لكثرة
جدال حكماء البلاط ومنجمى الحضرة ؛ فأتوا بهذا الولد من
السجن وسألوه : ابن من أنت ومن ؟ قال : لا أدرى نسبى من
أى شجرة مكتسب ونسبتى من أى عرق تتسب ؛ ولا أعرف أين
أصل موطنى ، ما أعلمه أن أبى كان ملكا وبنى لى معقلا فى
جب وكان يأتينى دوما يرانى بحاقة الجب ويلثمنى بوجهى وخدى ،
وذات يوم ألقى أسد مفترس بنفسه فى ذاك الجب والتقم ساعدى
وألقانى بالعراء وافترس بذاك الجب أمى الحبيبة فانحدرت بذاك
الجرح العظيم والضرب الأليم من قلة الجبل وأخذنى راعى إبل
واتخذنى ولدًا له إلى أن قهر الزمان حولى ودحر حيلتى ؛ فلما
سمع الملك كلامه أقبل يقبل وجهه ورأسه وقال فكوا قيوده فهو
أسد من عرين أدغالى ووردة من رياض حالى وهو فى الحق
ولدى وفلذة كبدى ، وزين رأسه بالتاج الملكى الكسروى ووشى
صدره بالديباج الملكى ، وقال : الحمد لله أن وارث هذا الملك
هو غصن روضى يمنى ، ومتصرف هذه الدولة هو سهيل اليمنى :

على عرش الملك اتكأ وسط عله امرؤ ليس ير أحد مثله فى ستر الأنحاء

من نور دولته من قلب حجر الجبل تنفست بدائع الرياض فى عز الشتاء

ثم قال بختيار فى ذاك الحال : يعلم الملك ذو الهمم أن ليس
بممكنة أحد الفرار من القضاء الإلهى أو باستطاعته الاشتجار مع
جيش القدر (المقدور كائن والهم فضل) ، لكن مع كل هذا
فالتماسى من مكارم أخلاق الملك ألا يسير فى عقابى على طريق
الارتجال وجادة الاستعجال فسوف يعلم الضمير المنير للملك يوما
أننى لم أبشر قط جناية ولم أتجاسر مطلقا على خيانة ؛ فقال
الملك : عودوا به إلى السجن وأدوا بالغد حسابه .

ولما قال الملك هذه الكلمات أخذ جمع الوزراء وزمرة الندماء
باجتماع واتفاق بالتشنيع وقالوا : بما أن نصائح رأينا فى هذه
الحضرة كاسدة وكلماتنا المصلحة فى هذه الدولة فاسدة ورواج
الزخارف لهذا النجس ورونق الأباطيل لهذا الرجس ، فليأمر
الملك بأن نؤثر نحن وزراء الدولة وسفراء الحكمة العزلة ونستظهر
بالعبادة والطاعة ، ونهض مقدم الوزراء وكبير الكبراء ؛ فلما رأى
الملك تغير الندماء وتظلم الوزراء قال : اذهبوا واشنقوا بختيار ؛
فاجتمع الجلادون حول بختيار كالمرىخ بجوار المشتري وكغليظ
الرداء فى مقابلة الحريري ، وودع بختيار الحياة وتسمع نداء الأجل
. فلما بلغ بداية الميدان أبهت لطافة جماله النظار وأبكت طراوة
شبابه الأنظار ، ولما خطا بختيار على سلم المشنقة وصل صدقة

العيار الذى كان قد ربي بختيار فرآه وهو مستاق إلى المشنقة فلما رأى العيار ما يقع فرق رداءه وصرخ لماذا تقتلون ابنى ؟ فقال : هذا أمر الملك الجازم وفرمان السلطان الحاسم ؛ فأعطى مالا حالاً للجلادين وقال : تمهلوا ساعة حتى أعالج بالمال والمال هذا الداء العضال ويبذل الثروة والنعمة أصلح هذه الأزمة ، وأتى البلاط مع جمع من الخلائق وكان الشاه فى ضفة الديوان وكافة الوزراء فى اطمئنان وأخذ العيار يتظلم قائلاً :

أيها الملك الميمون ارفق بقلبي المغبون
يامن للدنيا من جمالك شؤون اشفق بقلبي المحزون

أمرت الجلادين بإفناء ولدى وإدناء علم حياته فلا تقتل ابنى (خُذَاداد) فهو فى الفضل والشجاعة نادرة الدهر وفى سخاوته ومروته أعجوبة العصر ، نسبه ملكى وحسبه سلطانى ؛ فقال الملك : أى كلام هذا متناقض وأى حديث هذا متعارض ؟ مرة تقول إنه ابنك وأخرى إنه ابن سلطان ، فقال : أجل هو ابنى بالسبب والرعاية وهو ابن ملك بالنسب والانتماء ؛ فقال الملك : وكيف هذا ؟ فقال : أيها الملك المعظم وشاه العالم قصته مطولة وحالته طالعة ونازلة ، كنت يوماً سائراً فى بيداء كرمان مع عيارين شجعان فبلغنا حافة بشر ووجدنا هذا الصبى كالقمر والمشتري فى قالب بشرى موضوعاً على حافة ذاك البئر ، قلنا لعل يوسف رجع إلى العالم ، أو القمر طلع من قعر هذا البئر .

فتنا بجماله وعشقنا دلاله فلما حملناه وجدنا جوهرة عظيمة ثمينة معقودة على ساعده وهو ملفوف بصدرة ذهبية ، فسميناه (خُداداد) وريناه فى مهد الرعاية ولطف التربية ؛ فلما سمع الملك هذا الكلام قال : أحضروا بختيار (إني لأجد ربح يوسف) يهب النسيم القديم من المعهد الكريم على قلبى وتهيب الصبا المصيبة من عهد اللوى وأيام الحمى بلبى :

أصقل قلبى من هموم الأيام وألمس راحة من وصل حبيب الأحلام فلما أعادوا بختيار قال الشاه : أظهر لى هذه الجوهرة المعقودة بساعدك ؛ فوضعها أمامه ، فلما رآها أخذ به وسار به إلى سراى حريمه وقال : زوجتى أنت أمه وأنا أبوه وهو ذاك الوليد الذى خليناه على حافة البئر ، وهذه هى الجوهرة التى عقدناها بساعده ؛ فلما رأت الأم الجوهرة دلكت بوجهها وجهه وبلغ الطالب المطلوب ويوسف يعقوب ، حمل الهجر المضنى رحله وأحلّ الوصل المغنى عرشه ؛ فأخذ بختيار يقرأ كتاب العتاب ويجرى الكلمات المذية للقلوب على لسانه ، قال : يا أمى أى جرم رميتنى به وأى بلاء بليتتى به ؟ قالت : كان تعليم الوزراء وتلقين المشيرين الحقاد ، ولما استرجع الشاه بختيار سلم له تخت الملك وتوج رأسه بتاج السلطة واشتغل بشكر الفضل الربانى ومدح الصنيع الرحمانى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وعاقب بختيار الوزراء ورتب قواعد الملك :

فى دفع سهام جسد الأدياء ليس أفضل من كفاية الله درعا
وفى مذاق العقل ليس مثل ترس الصبر فى اللين من تصفية الحوادث شهيدا وسكرا
كن كاليقوت الذى فى كلفة الأحوال لا يجد فى نفوذه من النار وللاء خطرا
ولما بلغت حكاية «بختيار نامه» من الابتداء إلى الانتهاء
فقد تحلى وجه هذه القصص بقدر قدرها وتوشى سرور
بستانها على مقتضى حالها وشرط نظار هذه الروضة أن ينظروا
إليها بعين الرضا لا بنظر الجفاء؛ لأن المنزل كان منزل الغربية
والمحمل محمل فرقة . كان فراق المحبوب المذيب للقلوب قد
شوش قلبى وخاطري، وكان الهجر المبلى للأعمار ملاً بالنار
لبى وناظري؛ فلا عجب إذا أهملت دقيقة فى عقيقة وليد ولدته
أيام المحنة :

من هذا اليوم فصاعدا لو كان لى انشغال بوجهك أروج سواقا أيضا فى عشقك
وإذا لم يكن نسيم قد هب من معهد كريم وصبا قد مرت من
مهب سخاء كانا مفرح رعائتهما يقويان قلبى الضعيف، وكان ترياق
عنايتهما يعالجان سيم الحوادث لمنعت سموم الهموم غصنى هذا من
النشوء والنماء ولتركته فى مفازة الحرمان كحطب البيداء ، لكن
الاتفاق الحسن أنهما خلصا البصر من الوسن والحلق من الطوق،
وبعد أن أذهلتنا صدمات الدهر وأدهشتنا سطوات القهر تفتحت
فى النهاية عين القلب وخطت قدمى فى إرم النعم . لقننى لطف
لفظه فى اكتساب السعادة تلقينات وحسن نظر إكرامه هذه البضاعة

المرجاة تحسينات ، ومع أن حكايات (بختيار نامه) بحكم كثرة الفوائد تستغنى عن هذه الزوائد، لكن همته العالية إلا كانت دائما عنقاء فضاء العظمة تقول بلسان الإحسان : بما أن هذا الدفتر فى فهرست مكتبتنا وهذه الأوراق تؤنس طيور وكتتنا فلا بد لعروسها من سوار وخلخال ولطاووس شكلها طوق وجمال (أراهم قوما لا يشقى جلسهم) ، وبما أن جملة أجناس الناس باختلاف مشاربهم وتباين مراتبهم يلبسون كسوة من خاصة درر مجده فلا غرو أن يكتسى حلة قشبية من هذه الدور بدوره الكتاب جلس الفضلاء وأنيس العقلاء ، وأوردنا خلاصة المدائح فى هذه الكلمة (أنا غريب فى الناس وأنت غريب من الناس) ، والحمد لله أن ظهر فى عرصات الإقليم الرابع لهذا المتاع الكاسد مُشْتَرٍ ، ولهذه البضاعة المعطلة رواح مُمْتَرٍ ، وربما يقول قائل على سبيل التعجب أى صاحب حظ أنا ليس لمنشورى السامى تحرير ولا لتورى الحامى فطير بعد سير سنوات لم يكن يرى غير السراب ، فإذا به يصل فجأة إلى عين الحياة العذبة الشراب فرأى فى حريم إكرام تاج الدين ماء الخلود وذاق :

المنة للحق أن رأينا كريما وفى بادية العناء وجدنا نسима

وبعد إقباله شرعنا فى تحرير هذه المعانى لكن الشراب الذى كان يابريق الاستطاعة لم يكن له إلا هذا المذاق والمركب الذى كان بميدان الطاقة لم يكن له غير هذا الفواق ، كان قلبى الذى

كان إغارة الحوادث يتكلف لكى يلد هذا الشراب أكثر دسامة
وكان الساقى الذى كان فى مجلس شرابى يجتهد لكى يصدر هذا
الرجل أكثر ضخامة ، ومع انكسار قلبه فى عشق حبيب لا فائدة
من حبه كان ينشد هذا البيت :

لا بد لى من قلب عفى من البداية فى كل تحقيق

ولا يتأتى من قلب كسير تدبير دقيق

يمكن أن يتكلف من كان قدمه على كثر مرتجى أما من كان
قلبه مستغرقا فى هم وضنى صار معذورا إذا لم يكن فى ضيافته
ظرافة وشرط المضيف الكريم هو أن يعذر الضيف المفلس ويهجر
الرفيق الساخر، وأن ينظر بنظر الشفقة إلى محفل العاجزين وجريدة
المساكين لا بعين الجراءة ، ولا يحقرن البستانى البستان فى فصل
الشتاء حين يطوى الورد بساط النشاط بالكلية ، فذات يوم تأتى
الشمس إلى الحمل وتقوم بخير العمل ، ويفتح البلبل الموسيقىار
بالشدو المنقار ويجنح الورد من عالم الفراق إلى وثاق الميثاق :

يحقق الحبيب فى النهاية أمانى العشاق

وينتهى أخيرا ليل ألم الفراق

لم يصادف أحد مزيج الزمان على نسق واحد . كن دلو
سيارة كل يوسف وصر مرهم جراحة كل مستأسف، ولا تكن مع
رفيق غارك بحيث يضرب رأسك بضربة (اقتتلوا الأسودين ولو
كتم فى الصلاة) بل كن بحيث توضع على يدك شربة (إن الله
معنا) . انظر فى كل صباح حين ينشر منشور بياض النهار إلى

كل رواح يأخذ فى كتابة أسطورة المجنون وليلى بقلم (الليل
حبلى) ، وانظر فى كل فجر حين تزفر الدنيا بارد زفراتها إلى
كل عاقل يجرع منها حاراً أو بارداً من شرباتها ، ما أسعد الجاهلاء
الذين لا يدرون عن حار هذا العالم وبارده ولا يفقهون من دواء
* ولد آدم ودائه :

لنا عبء يعلمه كل إنسان

هو أنا كل ليلة نألم بهم الزمان

تم ترصيع بختيار نامه وتسجيعة بإقبال كريم الأيام وقدوة
الكرام ولى نعمة الفضلاء والمربى والمقوى للعلماء تاج الدولة
والدين جمال الأئمة شمس الإسلام ، اختيار الملوك والسلاطين
كريم الدهر افتخار دولة ما وراء النهر جعل الله تعالى دائماً السنة
الخلق بدعاء منفعة ناطقة وهمته العالية على إعلاء العلم وإبقاء
الفضل صادقة ماذراً شارق ولمع بارق ، والله تعالى منزّه عن الزيف
والزلل ومبرأ عن السهو والهلك .

* * *

تمت الكتابة على يد العبد الضعيف المحتاج الغريق فى لجج
المعاصي : يوسف بن أسعد بن يوسف الكاتب اللالكى أحسن الله
عواقب اموره فى يوم الجمعة السادس من شهر ذى القعدة المبارك
عظم الله بركاته سنة خمس و تسعين وستمائة ، والحمد لله وحده
والصلاة على نبيه وآله أجمعين . .

فهرست الكتاب

صفحة	الموضوع	2
5	١ - مقدمة المترجم	
9	٢ - مقدمة المؤلف	
19	٣ - الباب الاول	
55	٤ - الباب الثاني	
73	٥ - الباب الثالث	
95	٦ - الباب الرابع	
111	٧ - الباب الخامس	
127	٨ - الباب السادس	
137	٩ - الباب السابع	
147	١٠ - الباب الثامن	
163	١١ - الباب التاسع	
183	١٢ - الباب العاشر	

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالمين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مابهو باننيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كارييتكوفا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد مقصم وجد الجليل الأرنؤى وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	بيفيد براونستون وإيرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب طوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيع عفيفى
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النفسى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يمنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوذة وألف خوذة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥ - مشوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مختارات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مابهو باننيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوبجى / عبد الوهاب طوب
٣٢ - الانقراض	بيفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ القومى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هويكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	ت : خليل كلفت

٢٦ - نظريات السرد الحديث	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٢٧ - واحة مسوعة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٢٨ - نقد الحداثة	الن تورين	ت : أنور مغيث
٢٩ - الإغريق والصد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	لن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عفاف لحد / إبراهيم قحى / محمد ملحد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
٤٣ - الذهب المزوج	لوكتافيو بات	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المخور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد علي
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام في البلقان	ه . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب طوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد يراقة وعثمانى ليلود ويوسف الشطكى
٥١ - مسار الرواية الإسبانية أمريكية	داريو بيانوبيا وخ . م بينياليستي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التبعي	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفي فطيم وعادل بمرdash
٥٣ - الدراما والتطيم	أ . ف . ألنجنون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : علي يوسف علي
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود علي مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونيث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد القنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميت	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ - لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد الطيف عبد الطيم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نقاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسيوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - لعلم الإسلامى فى ليلال قرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	لوخينيو تشانج رودريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا لرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسى المعجوز
٧٣ - نقد استجابة القارئ
٧٤ - صلاح الدين والمالكي في مصر
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية
٧٦ - جاك لاكن وإغواء الطفل التمسى
٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢
٧٨ - العروة: النظرية الاجتماعية والفكرية
٧٩ - شعرية التكليف
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»
٨١ - الجماعات المتخيلة
٨٢ - مسرح ميغيل
٨٣ - مختارات
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد
٨٥ - منصور العلاج (مسرحية)
٨٦ - طول الليل
٨٧ - نون والقلم
٨٨ - الابتلاء بالتغرب
٨٩ - الطريق الثالث
٩٠ - وسم السيف (قصص)
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح الإسباني وأمريكي المعاصر
٩٣ - محادثات العولة
٩٤ - الحب الأول والصحبة
٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني
٩٦ - ثلاث زنيقات ووردة
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)
٩٨ - الهم الإصطناعي والابتزاز الصهيوني
٩٩ - تاريخ السينما العالمية
١٠٠ - مساطة العولة
١٠١ - النص الروائي (نقليات ومناهج)
١٠٢ - السياسة والتصامح
١٠٣ - قبر ابن عربي يليه أيام
١٠٤ - أوبرا ماهوجنى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع
١٠٦ - الأدب الأنفلسى
١٠٧ - صورة الفنان في الشعر الأمريكى للطاهر
- ت . س . إليوت
چين . ب . توميكترز
ل . ا . سيمينوفنا
أندريه موروا
مجموعة من الكتاب
رينيه ويليك
رونالد روبرتسون
بوريس لوسبنسكى
ألكسندر بوشكين
بنكت أندرسن
ميغيل دى أونامونو
غوتفريد بن
مجموعة من الكتاب
صلاح زكى أقطاي
جمال مير صادق
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
أنتوني جينز
نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
بارير الاسوستكا
كارلوس ميغل
مايك فينرستون وسكوت لاش
صمويل بيكيت
أنطونيو بوينو بايخو
قصص مختارة
فرنان برونل
نماذج ومقالات
ديفيد روينسون
بول هيرست وجراهام تومبسون
بيرنار فاليط
عبد الكريم الخطيبى
عبد الوهاب المؤنب
برتول بريشت
جيرارچينيت
د. ماريا خيسوس روبييرامتى
نخبة
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومى
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
ت : مكارم النمرى
ت : محمد طارق الشرقاوى
ت : محمود السيد طى
ت : خالد المعالى
ت : عبد الحميد شيحة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحى يوسف شتا
ت : ماجدة العناني
ت : إبراهيم الدسوقي شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب طوب
ت : فوزية العشماوى
ت : سري محمد محمد عبد الطيف
ت : إيوار الخراط
ت : بشير السباعى
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحى
ت : رشيد بنحو
ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
ت : محمد بنيس
ت : عبد الغفار مكاوى
ت : عبد العزيز شميل
ت : أشرف على دعور
ت : محمد عبد الله الجعيدى

١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الخلفي	مجموعة من النقاد	ت : محمود على مكي
١٠٩ - حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
١١٠ - النساء في العالم الثامن	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
١١١ - المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
١١٢ - الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
١١٣ - راية التمرد	سادى پلاقت	ت : أحمد حسان
١١٤ - مسرحية حماد كوني وسكان المستعم	وول شورينكا	ت : نسيم مجلى
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سميرة رمضان
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق)	سيتشيا تلسون	ت : نهاد أحمد سالم
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلي أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
١١٨ - النهضة النسائية في مصر	بث بارون	ت : لميس النقاش
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلي أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
١٢١ - الحبل الصغير في كتلة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وإيزابيل كمال
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : منيرة كروان
١٢٣ - إمبراطورية العثمانية ومملكتها العلية	فيتل الكسنر وفنادولينا	ت : أنور محمد إبراهيم
١٢٤ - الفجر الكاذب	جون جراي	ت : أحمد فؤاد بلبع
١٢٥ - التحليل الموسيقي	سيدريك ثورپ ديفي	ت : سمحة الخولي
١٢٦ - فعل القراءة	فولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب طوب
١٢٧ - إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
١٢٨ - الأنثى المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروت	ت : محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية	أندريه جوتنر فرانك	ت : شوقي جلال
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
١٣٢ - ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	ت : عبد الوهاب طوب
١٣٣ - الخوف من المرايا	طارق على	ت : طلعت الشايب
١٣٤ - تشريح حضارة	باري ج. كيمب	ت : أحمد محمود
١٣٥ - المختار من نقد س. إليوت (ثلاثة أجزاء)	ت. س. إليوت	ت : ماهر شفيق فريد
١٣٦ - فلاحو الباشا	كينيث كونو	ت : سمير توفيق
١٣٧ - منكرات ضابط في الحلة القرضية	جوزيف ماري مواريه	ت : كاميليا صبحي
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيكلينا تاروني	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩ - باريسيفال	ريشارد فاچنر	ت : مصطفى ماهر
١٤٠ - حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	ت : أمل الجبوري
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	ت : نعيم عطية
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ وديال	أ. م. فورستر	ت : حسن بيومي
١٤٣ - قضايا نظرية في البحث الاجتماعي	ديريك لايدار	ت : علي السعري
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة	كارلو جوالوني	ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دى ليس	ت : على عبد الرؤوف البعبي
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تاتكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاري
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأندونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	ت : منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برويل	ت : بشير السباعي
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الضمير
١٥٣ - غرام الفراعنة	فيولين فاتويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال والآن وأوبيت فيرمو	ت : مى القمصاني
١٥٧ - خسرو وشيرين	النفطامى الكنجوى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برويل	ت : بشير السباعي
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ - من المسرح الإسباني	البيخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الطيم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسبوى	ت : صلاح عبد العزيز محبوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات النطب	أ . ن أفانا سيفا	ت : سهير المصايفة
١٦٦ - العلاقات بين المتنبيين والطوائف في إسرائيل	يشعياهو ليتمان	ت : محمد محمود أبو خدير
١٦٧ - في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أنبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميغيل دالبييس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابي
١٧٣ - معنى الجمال	واتر ت . ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو فياشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاتصاليات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدي إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبد الأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبي الأمريكي	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العلف والنبوة	و . ب . بيتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	ت : فتحى العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تقام	هانز ايندورفر	ت : مسوقى سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب عروب
١٨٦ - معجم مصطلحات فيجبل	ميخائيل أنود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُردج طوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأنثى	اللين كرنان	ت : بدر العيب
١٨٩ - العصى والبصرة	بول دى مان	ت : سعيد الفانسي
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحته إبراهيم بيك	زين العابدين المرافي	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل النجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من نقد الأدب - ليريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شفاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس الطماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إبوين إمري وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاندوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد الحليم صاد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	ت : فخرى لييب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث ج١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣ - الشعر والشاعرية	الطاف حسين حالى	ت : جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شارازر	ت : أحمد محمود هويدى
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافالى - سفورزا	ت : أحمد مستجير
٢٠٦ - الهيولى تصنع طمأ جديداً	جيمس جلايك	ت : على يوسف على
٢٠٧ - ليل إفريقيا	رامون خوتاسندير	ت : محمد أبو العلا عبد الرؤوف
٢٠٨ - شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان لوريان	ت : محمد أحمد صالح
٢٠٩ - السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٠ - مثويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١ - فريبتان نوسومير	جوتفان كلر	ت : محمود حمدى عبد الفنى
٢١٢ - قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	ت : يوسف عبد الفتاح فرج
٢١٣ - سرقة نوم ظلين خروجه لاسر	ريمون فلور	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢١٤ - قواعد جيدة لمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جينز	ت : محمد محمود محى الدين
٢١٥ - سياحت نامة إبراهيم بيك ج٢	زين العابدين المرافي	ت : محمود سلامة علاوى
٢١٦ - جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	ت : أشرف الصباغ
٢١٧ - مسرحيتان طليعتان	صمويل بيكيت	ت : نادية البنهاوى
٢١٨ - رايولا	خوليو كورتازان	ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كانزو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهويوية في الكون	باري باركر	ت : علي يوسف علي
٢٢١ - شعيرة كفافى	جريجورى جوزدانييس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - فرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم في مجتمع حر	بول فيرابنر	ت : السيد محمد نفاذى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر إبراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابريل جارتيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ ^٣ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هريت لورانس	ت : طاهر محمد علي البيرى
٢٢٧ - المسرح الإيجائى في القرن السابع عشر	موسى مارديا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : ماري تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - ملزق البطل الوحيد	نورمان كيمن	ت : أمير إبراهيم العسرى
٢٣٠ - عن القباب والفنران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١ - الدرافيل	خايمي سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - ما بعد المطومات	توم ستينر	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام في السودان	ج. سبنسر ترومنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تيريزى ج ١	جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم السوقي شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الوادى	روين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكباد	ت : ياسر محمد جاد الله وعيسى مديولى أحمد
٢٣٩ - العرى في الأنثى الإسرائيلية	جيلادافر - رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فائق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامي حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - في انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الفموض	وليام إمبسون	ت : صبرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية ج ١	ليفى بروفنسال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الظليان	لاورا إسكيبيل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق علي منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرتيا ماركث	ت : علي إبراهيم علي منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجامعية والحياة في مصر	ولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد الطيف عبد الطيم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	يومنك فيتك	ت : ماجدة أبانلة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جورجون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : علي بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوفا	ت : حسن بيومي
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روينسون وجوى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روينسون وجوى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - بيكرت	ديف روينسون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - الفجر	سير أنجوس فريزر	ت : عبادة كحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني	نخبة	ت : فاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إيوارد مندوتا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٣ - الكشف عن حالة الزمن	جون جرين	ت : علي يوسف علي
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلي	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عويكي
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزي ج٢	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم النسوقي شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج١	وليم جيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج٢	وليم جيفور بالجريف	ت : صبرى محمد حسن
٢٧١ - الحضارة الفريية	توماس سى . باترسون	ت : شوقي جلال
٢٧٢ - الأديرة الأثرية في مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوى
٢٧٤ - السيدة بريارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود علي مكي
٢٧٥ - ه. س. إلييه شامبر / نكفا / ككتبا / مسرحيا	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرائك جوتيران	ت : عبد القادر التلمساني
٢٧٧ - الجينات : الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزي
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت : طريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الأدب الهندي الحديث والمعاصر	بريم شند وأخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ - الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوي	ت : جلال الحفناوى
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وليبرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان روافو	ت : علي البمبي
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عثمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامي	حسن نظامي	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ - رحلة إبراهيم بك ج٢	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
٢٨٧ - الثقافة والعلة والنظام العالمى	أنتونى كينج	ت : محمد يحيى وأخرون
٢٨٨ - الفن الروائى	ديفيد لودج	ت : ماهر البطوطى
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامقاني	أبو نجم أحمد بن قوس	ت : محمد نور الدين

٢٩٣ - مقفمة للأفب العربى	روجر آلان	ت : فففة من المرففم
٢٩٤ - فن الشعر	بوالفر	ت : رفا فافوف صفاف
٢٩٥ - سلطان الأسفورة	فوزفف كامبل	ت : ففر الففن فب الله الففف
٢٩٦ - مكفث	ولفم شففسفر	ت : ففمف مصطفى ففوف
٢٩٧ - فن للفوففن الفففنف والففففففففف	ففوففففففف ففركس - فوسف الأفوانى	ت : فاففة ففمف أنور
٢٩٨ - فففاة الففف	أبو بكر ففوافلففوف	ت : مصطفى ففزانى الففف
٢٩٩ - ففورة الفففوفففا الفففوف	ففن ل. مارفس	ت : فاشم أفمف ففواف
٣٠٠ - أسفورة ففوففففف فففا	لوفس فوف	ت : فمال الفزفرى وففا فاففن
٣٠١ - أسفورة ففوففففف فففا	لوفس فوف	ت : فمال الفزفرى ومفمف الفففى
٣٠٢ - فففففففف	فون فففون وفوفى ففوفز	ت : إمام عبف الففاف إمام
٣٠٣ - فوفا	ففن فوف وفوفن فان لون	ت : إمام عبف الففاف إمام
٣٠٤ - مارفس	رفوس	ت : إمام عبف الففاف إمام
٣٠٥ - الفف	فروفزو مالابارف	ت : ففلاف عبف الصفور
٣٠٦ - الفففا - الفف الففففى لفافف	فان - ففانفوا لفوفار	ت : فففل فف
٣٠٧ - الففوف	فففف باففنو	ت : ففموف ففمف أفمف
٣٠٨ - فم الفواف	فففف فوفز	ت : فمفوف عبف المففم أفمف
٣٠٩ - الففن والمف	أنفوس ففلافى	ت : فمال الفزفرى
٣١٠ - فوفف	فلفى فف	ت : ففى الففن ففمف ففن
٣١١ - ففال فى المففف الففففى	فوانفوف	ت : فافمة إسماعفل
٣١٢ - فوف الففب الأسود	ولفم فف فوفز	ت : أسف ففم
٣١٣ - أمفال فلففففففف	فاففر ففان	ت : عبف الله الففففى
٣١٤ - الفن ففم	ففنس فففك	ت : فوففا السباعى
٣١٥ - ففامفف فى العالم العربى	مفففل ففونففنو	ت : فامفلفا صففى
٣١٦ - ففافمة ففراف	أ. ف. ففون	ت : فففم ففلى
٣١٧ - فلاف	فففر لافمفوا - ففففن	ت : أشرف الصفاف
٣١٨ - الفف الففف فى الففون الففرا الففرا	فففة	ت : أشرف الصفاف
٣١٩ - ففوف فففا	فاففر فاسفففاك وفففوفر فوفس	ت : ففام فافل
٣٢٠ - لمة السراف لففرا الفاف	مؤلف ففوف	ت : ففمف علاه الففن فففوف

طبع بالهيئة العامة لشتون المطابع الأميرة

رقم الإيداع ١٧٧٥٣ / ٢٠٠١

بختيار نامة

كتاب «لمعة السراج لحضرة التاج» حديث هزله جد ، وقصصه عبر ، وسمره حكمة ، مادته الأولى وضعت باللغة البهلوية في العصر الساساني قبل الإسلام ، وسمى بعد الإسلام (بختيار نامه) ؛ أي كتاب بختيار ، وبختيار يعنى السعيد ذا الجد . أنشأ المؤلف المجهول كتابه (لمعة السراج لحضرة التاج) ليظهر علو براعته وسمو قدرته في باب الإنشاء والفصاحة ليكون خير نديم للأمير المقدم له ، وليضمن به حسن الجائزة ودوام الذائعة ، وأكثر من الترصيع والتسجيع والتجنيس كما هي عادة المنشئين والمترسلين أصحاب النثر المصنع أو النثر الفني . ولا يفوت القارئ أن نقل الأثر الأدبي من لسان إلى لسان يفقده هذا الجمال بالضرورة إلا عند من يترجم البديع والصنعة اللفظية بنظيرهما دونما إخلال بالمعنى أو تقصير في التعبير ، انتهجنه قدر الوسع بل زدنا حلاوة النص طلاوة وطرا . أن يقع من القارئ موقع القبول والاستحسان ، وعلى الله